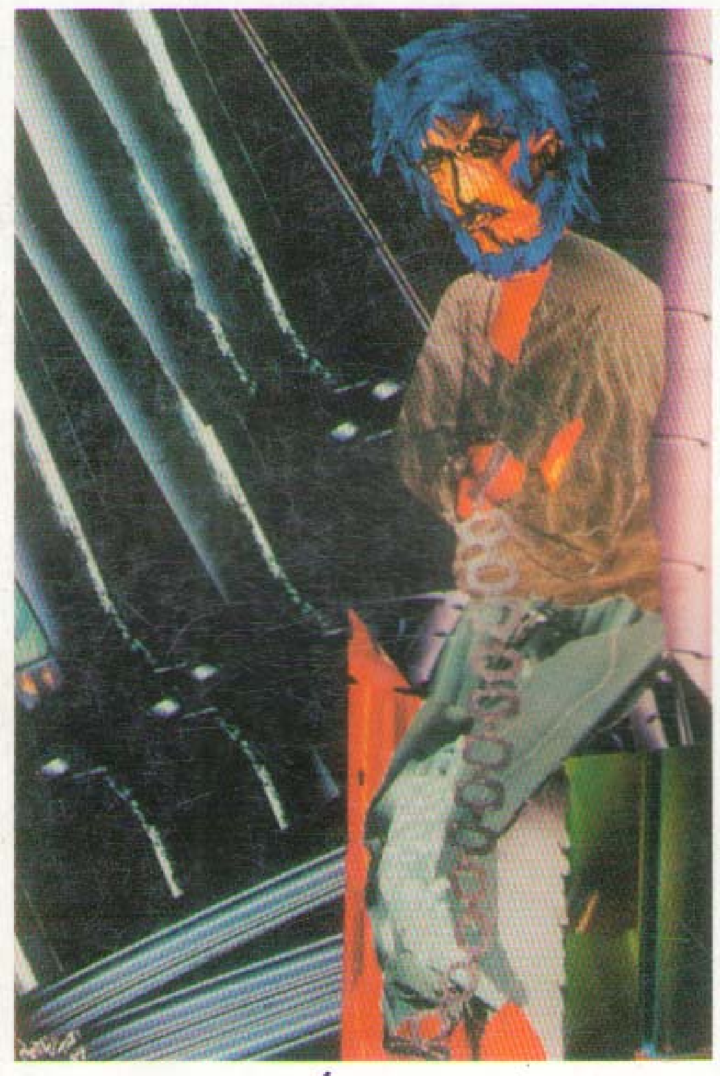




350



• مسرحيتان من الأدب النيجيري

١- محنة الأخ جيرو -٢- تحوُّل الأخ جيرو

تأليف: وول سوينكا
ترجمة وتقديم: طارق عبدالرحمن شما
مراجعة: نسيم مجلي

أكتوبر 2004
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



الفنـــان : أحمـد عبدالرضا الصالح

لقـد طال الانـتـظار - كـولاج - ٩٠ × ٦٠ سـم

١٩٩٧



مسرحيتان من الأدب النيجيري

١ - محنة الأخ جيرو

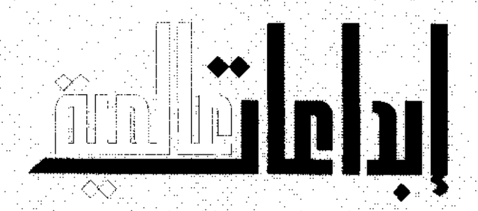
٢ - تحوُّل الأخ جيرو

تأليف: وول سوينكا

ترجمة وتقديم : طارق عبدالرحمن شما

مراجعة : نسيم مجلي

العدد 350 أكتوبر 2004



تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	10 د.ك
للمؤسسات	20 د.ك

دول الخليج

للأفراد	12 د.ك
للمؤسسات	24 د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

ردمك ٨ - ١٤٨ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906 - 0 - 148 - 8

• محنة الأخ جيرو

• تحوُّل الأخ جيرو

العنوان الأصلي :

1- THE TRIALS OF BROTHER JERO

2- JERO'S METAMORPHOSIS

BY: WOLE SOYINKA

عن دار النشر

OXFORD UNIVERSITY PRESS

London Oxford New york

1974

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2004م

إبداعات عالمية - العدد 350

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

مقدمة

وول سوينكا (حياته وأعماله)

كان فوز وول سوينكا بجائزة نوبل للآداب في عام ١٩٨٦ اعترافا بمكانته الرائدة ككاتب أفريقي وعالمي، حيث كان أول أديب أفريقي يفوز بهذه الجائزة، كما جاء ذلك توكيدا لقيم العدل والحرية التي كرس لها قلمه وحياته، وتتويجا لمسيرة أدبية وشخصية حافلة، تميزت بغزارة إبداعية لافتة، فضلا عن الالتزام بقضايا بلده السياسية والاجتماعية بالقول والفعل.

ولد سوينكا في قرية أبيو كوتا في غرب نيجيريا في عام ١٩٣٤، لأسرة عمل كثير من أفرادها في التدريس في مدرسة القرية، ونشأ في بيئة تداخلت فيها مؤثرات قوية من الثقافة الغربية المسيحية، الإنجليزية تحديدا، مع التراث المحلي الغني لقبائل اليوريا التي ينتمي إليها، بمعتقداتها الشعبية وأساطيرها ودياناتها، وهو المزيج الذي سيطبع كل أعماله بطابعه المميز، مما يجعله محورا أساسيا لفهم أعماله ودراستها.

ومكنته دراسته في جامعة إبادان بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٤ من تعميق اطلاعه على جوانب الثقافة الغربية الفنية منها والفكرية، ومنها فلسفة نيتشه والمسرح اليوناني، الذي سيعود إليه مرة بعد أخرى ليستلهم منه عناصر الحبكة والأسلوب.

كما تجلت في تلك المرحلة الميول التي ستبرز لاحقا في حياة سوينكا وممارسته الأدبية، وأهمها ميله الفطري للتمرد وعداؤه للمؤسسات الحاكمة، وخصوصا الاستبدادية منها، وهي مواقف تمسك بها لاحقا بكل ثبات، رغم ما سببته له من متاعب.

وربما كانت اتجاهاته تلك هي ما جذبه إلى بعض الأساتذة، ممن كانوا يصنفون خارج نطاق كل المؤسسات التقليدية، رغم قدراتهم الأكاديمية الرفيعة، في أثناء دراسته في جامعة ليدز الإنجليزية في أواخر الخمسينيات. ومن هؤلاء ولسون نايت، وهو واحد من كبار الاختصاصيين بأدب شكسبير، والذي تمثل تأثيره في تكوين سوينكا الأدبي في كشفه للصلة الوثيقة بين المسرح والطقوس، تلك التي شكلت ركنا أساسيا في نظرية سوينكا المسرحية. ومن ناحية أخرى، فقد أفاده الناقد المرموق أرنولد كتل، وهو أحد أهم النقاد الماركسيين في ذلك الوقت، في فهم الدور المركزي الذي تلعبه العلاقات الطبقية في التطور الاقتصادي والسياسي، وهو موضوع كثيرا ما يتكرر في أعماله. كما أتيحت لسوينكا في هذه الفترة فرصة تطوير مهاراته الإبداعية والنقدية، حيث كان يكتب الكثير من الأعمال التي بث بعضها من هيئة الإذاعة البريطانية، كما نشر بعضها في مجلات الطلاب الجامعية. وقد أسهمت أعماله الإذاعية، خصوصا، في تأسيس مكانة متميزة له في وطنه الأم ككاتب وناقد واعد.

إلا أن العامل الأهم في تكوين سوينكا في هذه المرحلة هو ارتباطه المباشر بالمسرح، الذي انهمك بهمة واضحة في مختلف نشاطاته من تأليف وتمثيل وإخراج. وبدأت تجربته المسرحية بشكل فعلي في عام ١٩٥٧ حين التحق بالمسرح الملكي في لندن ككاتب وقارئ نصوص، وفي عام ١٩٥٩ عُرضت مسرحيته الاختراع، والتي لم تنشر أبدا، كما عرضت معها مقتطفات من بيت بانيغيجي ورقصة الغابات الأفريقية.

وفي عام ١٩٦٠ عاد سوينكا إلى نيجيريا، حيث أسس فرقة مسرحية للهواة باسم «الأقنعة». وفي العام ذاته أخرج مسرحية رقصة الغابات الأفريقية ضمن احتفالات استقلال نيجيريا، وفازت المسرحية بجائزة مجلة Encounter. وفي أوائل الستينيات عمل باحثا في المسرح الأفريقي التقليدي في جامعة إبادان، مما أتاح له الفرصة ليجول في أرجاء نيجيريا طولا وعرضا ليتقصى جذور التراث المسرحي الأفريقي. وقد أفاده ذلك بالطبع في تعميق معرفته بالفولكلور المسرحي، وقدم له موردا غنيا لأعماله الإبداعية ومفاهيمه النظرية. وبعدها أسس فرقة مسرحية أخرى هي «مسرح أوريسون»، كما توالت أعماله المسرحية تأليفا وإخراجا.

وفي أكتوبر من عام ١٩٦٥ دخل سوينكا في غمرة الحياة السياسية المضطربة في البلاد، على نحو مفاجئ وعنيف، حين اتهم بإلقاء بيان إذاعي يدين فيه نتائج الانتخابات التي

جرت وقتها في غرب نيجيريا. وعلى رغم أنه قد ثبتت براءته بعد ذلك، حين تبين أن البيان المذكور قد نسب إليه زورا، إلا أن الاتهام الذي تعرض له لم يأت اعتباطا، وهو الذي سبق له أن ألف وأخرج عرضا سياسيا ساخرا بعنوان «قبل العتمة في لاجوس» في وقت سابق من العام نفسه.

وعادت المتاعب السياسية تلاحق سوينكا من جديد حين نشبت الحرب الأهلية النيجيرية في مايو من عام ١٩٦٧، عندما اعتقل في أغسطس من السنة نفسها من قبل الحكومة العسكرية الاتحادية بتهمة إجراء اتصالات مع الانفصاليين في إقليم بيافرا الشرقي، وذلك بعد فترة وجيزة من فوزه بجائزة جون ويتنج للمسرح، بالاشتراك مع الكاتب الإنجليزي توم ستوبارد، وتعيينه رئيسا لقسم الفنون المسرحية في جامعة إبادان. وكان سوينكا قد اشترك مع غيره من النشطاء السياسيين في الدعوة إلى الامتناع عن تقديم السلاح إلى جانبي الحرب كليهما. وفي أثناء اعتقاله فاز بجائزة «جوك كامبل» للمسرح، كما طبعت بعض مسرحياته وأعماله الشعرية.

وفي أكتوبر من عام ١٩٦٩ أطلق سراح سوينكا ليعود إلى منصبه رئيسا لقسم الدراسات المسرحية في جامعة إبادان، وذلك بعد فترة اعتقال دامت أكثر من سنتين، وهي التجربة التي وصفها لاحقا في كتاب «مات الرجل» ١٩٧٢، الذي منع

في نيجيريا، وفي مجموعة شعرية بعنوان «قصائد من السجن» ١٩٦٩.

وفي عام ١٩٧٢ ترك سوينكا نيجيريا التي كانت خاضعة لحكومة عسكرية ليعيش في منفى اختياري في أوروبا والولايات المتحدة، وعمل بشكل أساسي أستاذا جامعيا في جامعة كامبردج في إنجلترا، كما أشرف في عام ١٩٧٥ على تحرير المجلة الفكرية الأفريقية Transition التي تصدر في غانا. وكتب مسرحية «تحول الأخ جيرو» في تلك الفترة.

بيد أنه عاد إلى وطنه في عام ١٩٧٥، وعين أستاذا في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة إيفة. وعلى رغم الضغوط الحكومية فقد تابع سوينكا نشاطه في مجال المسرح السياسي، حيث ركز انتقاده على الفساد الحكومي والآثار السلبية التي جلبتها طفرة النفط على نيجيريا.

وإلى حين حصوله على جائزة نوبل، توزعت نشاطات سوينكا بين التأليف والنقد الأدبي والإخراج المسرحي، حيث أخرج مسرحيات له ولكتاب غيره منهم بيراندللو وكالدول، كما عمل بالتدريس الجامعي في غانا والولايات المتحدة وبريطانيا. وفي ١٩٨٣ ألقى محاضرات حول شكسبير في مسقط رأسه في ستراتفورد أبون أفون Stratford Upon Avon. كما أنه شغل في الفترة نفسها منصب رئيس اتحاد كتاب الشعوب الأفريقية وأصدر مجموعة أغان سياسية بعنوان «شركة غير محدودة».

وفي عام ١٩٨٦، حصل سوينكا على أرفع جائزة أدبية على مستوى العالم، مما رسخ مكانته على خريطة الأدب العالمي والأفريقي، وكذلك في بلده الأصلي، حيث حصل على أعلى وسام وطني في البلاد، الأمر الذي فتح المجال لتحقيق نوع من المصالحة بينه وبين السلطات السياسية، خصوصا بعد أن عين في منصب حكومي رفيع.

إلا أن سوينكا عاد ليدخل دوامة السياسة من جديد، بعد أن استولى الجيش بقيادة الجنرال ساني أباشا على الحكم في عام ١٩٩٣، فحل الحكومة المدنية وفرض دكتاتورية عسكرية في البلاد. وفي عام ١٩٩٤ اضطر سوينكا إلى الهرب من نيجيريا ليعيش في المنفى في أوروبا وأمريكا، حيث شارك في حملات ضد الحكومة العسكرية في نيجيريا، والتي أصدرت عليه حكما غيابيا بالإعدام في عام ١٩٩٧. وبعدها عمل أستاذا زائرا في جامعتي هارفارد وإموري الأمريكيتين.

وفي عام ١٩٩٨ توفي أباشا وحل محله الجنرال عبدالسلام أبو بكر، فعاد سوينكا إلى نيجيريا ثانية بعد أن ألغيت تهمة الإعدام الصادرة بحقه.

وفي معرض تقييم أعمال سوينكا ومكانته في الأدب الأفريقي خصوصا، قد يكون من المفيد مقارنته بنظرائه من الأدباء الأفارقة في نيجيريا وخارجها. فمن الواضح مثلا أنه لا يلتزم بالواقعية التوثيقية التأريخية التي يمارسها مواطنه

شينوا أشيي، وخصوصا في روايته «الأشياء تتداعى»، التي كانت من أوائل الأعمال التي قدمت الأدب الأفريقي إلى العالم. ومن ناحية أخرى، فإننا لا نجد في أعماله انشغالا مباشرا بقضايا الصراع الطبقي بذلك الأسلوب الثوري المطلق الذي نجده لدى كثير من أدباء أفريقيا والعالم الثالث من ذوي الالتزام السياسي، والماركسي خصوصا.

ومن الناحية السياسية، يبقى سوينكا ديموقراطيّا ليبراليّا مع ميول ماركسية ثورية عميقة، مما يجعله عصيا على التصنيفات الجاهزة، إلا أنه يظل قبل كل شيء آخر «مناضلا في سبيل حقوق الإنسان وخصما لدودا لكل أشكال الدكتاتورية، بما فيها الأصولية الدينية»[١]، وهو ما نجده بشكل ظاهر في المسرحيتين. إلا أن التزامه بهذه القضايا، على أهميتها وخطورتها، لم يؤثر في ميله إلى الكوميديا والهجاء الساخر، وإن كان مريرا أحيانا، مما «قد يجعل منه أستاذ الكوميديا دون منازع في القارة الأفريقية»[٢]. وتذكّر هجائياته على وجه الخصوص بالكاتبين البريطانيين جوناثان سويفت وألكسندر بوب، اللذين يعترف بتأثيرهما الكبير في أعماله.

---

(١) Msiska, p. 5

(٢) Ibid, p.4

المسرحيتان

تنتمي المسرحيتان: «محنة الأخ جيرو» و«تحول الأخ جيرو»، إلى هذا النوع الأخير من أعمال سوينكا، أي الهجاء الساخر، الذي يهاجم فيه كعادته الاستبداد السياسي، وسوء استخدام السلطة. وتروي المسرحيتان، بأسلوب كوميدي ساخر، قصة جيروبم العراف المزعوم، وصعوده من دجال محلي صغير يكسب رزقه من الاتجار بالدين واستغلال جهل البسطاء، إلى أحد الأبواق الدعائية للنظام العسكري الذي يستولي على حكم البلاد.

وإذا كان الإطار الزماني والمكاني للعمل هو نيجيريا في الستينيات، فإن أنماط الشخصيات والنماذج الاجتماعية التي يعرضها والقضايا التي يتناولها، من فساد إداري وتخلف اجتماعي، وكذلك هشاشة الأنظمة السياسية وغربتها عن واقع الشعب، أو قمعها لمظاهر الحياة السياسية، جميعها مشاكل لها مثيلاتها في كثير من بلدان العالم الثالث. كما أنه ليس من الصعب تبين أوجه الشبه الكبيرة بين التحولات السياسية التي تشهدها المسرحيتان، وما يقابلها في معظم الدول النامية. فما أن تحررت هذه البلدان من ربقة الاحتلال الأجنبي حتى عمد قادتها الوطنيون إلى إقامة أنظمة برلمانية حزبية على النمط

الغربي الذي جاء به الاستعمار الأوروبي، ولكن لما كانت هذه المؤسسات المستوردة تفتقر إلى أسس اجتماعية راسخة، لأنها لم تأت نتيجة تطور تاريخي طويل، كما حدث في الغرب، فإنها سرعان ما انهارت تحت ضربات الجيش، الذي يشكل القوة المنظمة الوحيدة القادرة على ملء الفراغ السياسي في المجتمع، لتحل محلها أنظمة دكتاتورية عسكرية.

وليس جيرو إلا نموذجا غير نادر أبدا للانتهازي الذي يبيع نفسه لمن يدفع الثمن، ويتواطأ مع الأنظمة القمعية لتحقيق مطامعه الشخصية، ولو كان ذلك على حساب تكريس الفقر والتخلف لدى غيره من المواطنين. إذ يتمكن هذا الكاهن الزائف بكل دهاء من التأقلم مع التقلبات السياسية المتلاحقة في البلاد، ويقوم بتكييف مبادئه الدينية ليصبح جزءا من النظام الحاكم أيا كان نوعه، فيحتال في المسرحية الأولى على أحد رجال البرلمان؛ مستفيدا من سذاجته وطمعه في الحصول على منصب وزاري بأي ثمن، وفي المسرحية الثانية يستغل حاجة النظام العسكري إلى سند شعبي ليقدم نفسه غطاء دعائيا تبريريا لسياساته. والحقيقة أن المسرحية الأولى، وهي واحدة من أوليات مسرحيات سوينكا، إذ كتبت على الأغلب قبل استقلال نيجيريا في عام ١٩٦٠، يمكن اعتبارها أشبه بنبوءة بالأحداث السياسية التي رافقت الاستقلال وتبعته. فصراع جيرو للاستيلاء على رقعة من

الشاطئ لا يختلف كثيرا عن النزاعات التي نشبت بين الساسة الوطنيين من أجل الحصول على «قطعة من الكعكة». كما نجد أمثلة لطمع السياسيين في أحد رعية جيرو، والذي يحلم بأن يكون رئيس وزراء دولة «الشمال الشرقي الأوسط»، التي لم تؤسس بعد، وكذلك في عضو البرلمان الذي يرى في جيرو فرصته للحصول على منصب وزاري، بل إن جيرو نفسه يمكن اعتباره نموذجا ساخرا لرجل السياسة، الذي يدرك أن الأسلوب وجاذبية المظهر يلعبان دورا حاسما في تحقيق طموحاته، ولهذا يحاول أن يقدم صورة جذابة لنفسه عن طريق القبعة والشلحة المخملية. أما اللقب الذي يصطنعه لنفسه «جيرو النقي، بطل الحملة الصليبية المفوه»، فلا يختلف كثيرا عن الألقاب الرنانة الفارغة التي كان يستخدمها بعض السياسيين(٣).

كما نجد مثالا آخر للهجاء السياسي في خطاب شومة المشوش، الذي يرتجله حين يضطر للحلول محل الأخ جيرو في القداس، والذي يذكر بشكل تهكمي بالخطابات السياسية الشعبية التي تعد الجميع بينابيع اللبن والعسل.

ومن الناحية الفنية، وخصوصا فيما يتعلق بالتقنيات المسرحية في هذين العملين وبالشخصية الرئيسة فيهما، استفاد سوينكا كثيرا من التراث المسرحي الشعبي، ومن

---

(٣) Gibbs, p. 84

الأساطير القبلية المحلية في نيجيريا. ويتبدى ذلك بشكل أساسي في شخصية جيرو نفسها التي تتشابه مع شخصية المحتال الشائعة في كثير من القصص الشعبية في غرب أفريقيا خصوصا. ويمثّل المحتال بمعنى من المعاني بطلا شعبيا تعود نجاحاته إلى المكر والدهاء أكثر منها إلى الجد والعمل. ولعل هذا ما يفسر سعي جيرو الدائم إلى كسب تعاطف المشاهدين وتحقيق تواصل معهم؛ إذ يفتتح العراف المسرحية الأولى وهو يخاطبنا بشكل مباشر ويحدثنا عن نفسه، كما تبدأ ثلاثة من المشاهد الخمسة في المسرحية بالطريقة ذاتها. ويفعل جيرو الشيء نفسه قرب نهاية المسرحية الأولى، حين يعلن للجمهور ما ينوي فعله بـ شومة. وتنتهي المسرحية الثانية أيضا بشكل مشابه، إذ يتحدث جيرو إلى المشاهدين ويشركهم في انتصاره. وهكذا، يفضي المحتال إلى الجمهور بأسراره والخطط التي ينوي تنفيذها، مما يخلق علاقة وثيقة بينه وبينهم، ويجعلهم شركاء له بمعنى من المعاني.

واللافت للنظر أن صفات المحتال تلك تجد انعكاسا لها في الأساطير الخاصة بالديانات القبلية المحلية. فإذا نظرنا إلى تراث اليوريا النيجيري وجدنا علاقة وثيقة بين شخصية جيرو والإله إيشو إيليجبا. فكلاهما يمثلان بشكل من الأشكال وسيطين بين السماء، والبشر، إلا أنهما في الوقت

ذاته مستقلان بإرادتهما ولا يخضعان لأحد. وليس من قبيل المصادفة أن يعتمد العراف في خداع الآخرين، وبدرجة أساسية، على بلاغته وذلاقة لسانه، لأن الرب إيشو هو الناطق باسم الآلهة. بل إن التشابه بين جيرو والإله الأسطوري يتجاوز الصفات الشخصية إلى المظهر والصفات الخلقية، فلباس جيرو وهيئته، خصوصا في ظهوره الأول في محنة الأخ جيرو، يمثلان «تجسيدا حقيقيا لإيشو»[٤]. فشعره «الغزير والطويل» يذكر بالرب الذي يصور دائما بشعر طويل، كما أن «عصا الكهانة» الخاصة به تتشابه مع الهراوة التي يحملها إيشو، والتي ترمز للقوة عموما، وللقوة الجنسية على وجه الخصوص، وهذا بدوره يعود بنا إلى ما يصف به جيرو نفسه من وسامة وبانجذابه إلى النساء وانجذابهن إليه، وعلاقته بريبيكا دليل واضح على ذلك.

ملاحظات حول الترجمة

وتبقى بعض الملاحظات الأساسية بخصوص الترجمة العربية. فالمسرحيتان مليئتان بالإشارات إلى الكتاب المقدس، العهد القديم في المسرحية الأول، وخصوصا سفري الملوك، والعهد الجديد في الثانية. وهذا أمر متوقع بالنظر إلى أنهما ترويان قصة دجال يستغل الدين لمآربه الشخصية، إلا أنه قد

(٤) Ibid, p.80

يخلق مشاكل عديدة لدى المتلقي في السياق الثقافي للغة العربية، حيث لا يمارس الكتاب المقدس الدرجة نفسها من الحضور والتأثير، ولذلك، لا يمكن أن نتوقع من القارئ - أو المشاهد العادي - أن يكون مطلعا على تفاصيل الكتاب المقدس، ونجد أوضح الأمثلة على ذلك في الصفة التي ينتحلها جيرو لنفسه. فكلمة prophet عادة ما تترجم إلى نبي، وهذه هي الصفة التي تستخدم للرسول (صلى الله عليه وسلم). إلا أن دلالة هذه الكلمة في الكتاب المقدس أكثر عمومية بكثير منها في القرآن الكريم، ففي العهد القديم، سفر الأنبياء مثلا، فإن كل من يتنبأ بنبوءة مهما كانت يسمى نبيا، أما في المفهوم الإسلامي، فتعبير نبي يقتصر على الأنبياء الذين يتلقون وحيا إلهيا، وعددهم محدود طبعا. ولذلك، فإن تعبير «النبي جيرو» سيبدو غريبا بالنسبة إلى معظم المتلقين، وسيفهم منه أنه يدعي النبوة... إلخ. ولذلك، فضلنا استخدام تعبير «العراف»، رغم أنه لا يحمل الدرجة نفسها من القداسة. ويصدق ذلك بدرجة أقل على بعض أسماء الشخصيات التي تشير بشكل رمزي إلى شخصيات دينية، والتي فضلنا الإبقاء على أصلها الإنجليزي بدلا من استخدام مقابلاتها العربية، كما ترد في الكتاب المقدس، وهكذا مثلا استخدمنا «جيروبم» بدلا من «يَرُبعام». ذلك أن هذه الأسماء المعربة كانت ستبدو نافرة عن سياقها الأجنبي،

وخصوصا بالمقارنة مع باقي أسماء العلم في المسرحيتين، الغربية منها والأفريقية، كما أن دلالاتها ستفوت القراء والمشاهدين الذين لم يطلعوا على الكتاب المقدس بشكل مباشر. هذا طبعا إذا استثنينا الأسماء الشهيرة والمعروفة في الأديان السماوية جميعها، مثل موسى وإبراهيم. وينطبق ذلك على المقتطفات والإشارات إلى الكتاب المقدس الشائعة والمعروفة في الثقافة العربية (مثل «أعط ما لقيصر لقيصر»... إلخ)، فقد أغفلنا توثيقها لأنها معروفة للأغلبية من القراء. وعدا ذلك، فقد أبقينا على الأسماء والتعابير التي لا غنى عنها لفهم النص مثل «إيزابل» و«يوشع» مع تقديم التوضيحات المناسبة.

ومن ناحية أخرى، هناك مشكلة تفاوت المستويات اللغوية بين الفصحى والعامية، الأمر الذي يمثل مشكلة معروفة في الترجمة إلى العربية نظرا إلى تعدد اللهجات العامية. ويظهر ذلك في حالة شومة تحديدا، وهو الشخص البسيط المحدود التعليم، الذي يتحول إلى لهجة إنجليزية عامية هجينة في حالة الاضطراب أو الانفعال الشديد، وهذا عامل أساسي طبعا في فهم الشخصيات والأحداث ولا يمكن تجاهله في الترجمة.

وفي محاولة لنقل هذه الفوارق راعيت نقل العامية الإنجليزية إلى عربية متخففة من قواعد النحو والإعراب مع

استخدام ألفاظ عامية شائعة ومفهومة بصفة عامة في اللهجات العربية. ولا بد، بطبيعة الحال، من الاعتراف بأن هذا الحل ينطوي على شيء من الافتعال، إذ لا يوجد من يتحدث بهذه الطريقة، إلا أن هذا يبدو الأسلوب الوحيد لخلق مستويات لغوية متعددة في النص دون استخدام لهجة محددة. وعلى كل حال، يمكن عند إخراج المسرحيتين في بلد معين اللجوء إلى لهجة عامية معروفة فيه تكون مفهومة للجمهور وتتباين مع اللهجة الفصحى لباقي الشخصيات، وخصوصا جيرو.

ونشير أخيرا إلى أن الملاحظات على المسرحيتين هي للمترجم، عدا الملاحظة الأولى في كل مسرحية، فهما للمؤلف.

طارق عبدالرحمن شما

مراجع

Gibbs, James (ed), Critical Perspectives on Wole Soyinka (Washington, D.C: Three Continents Press, 1980).

- and Bernth Linfors, Research on Wole Soyinka (Trenton, NJ:Africa World Press, 1993).

Jones, Eldred Dorosimi, The Writing of Wole Soyinka (London: James Currey and Heinemam, 1973).

Msiska, Mpalive - Hangson, Wole Soyinka (Plymouth: Northcote House Publishers Ltd, Wright,Derek, Wole Soyinka Revisited (New York; Twyne, 1993).

(١) محنة الأخ جيرو

المشهد الأول

الشخصيات

جيروبم: عراف من عرافي الشاطئ

العراف العجوز: أستاذه

شومة: مساعد جيروبم

أموبة: زوجة شومة

تاجرة

عضو برلمان

تائبة

جيران

مصلون

امرأة غاضبة

فتاة شابة

الخشبة مظلمة تماما. تضيء بقعة من الضوء فيظهر فيها العراف، وهو رجل ذو لحية كثيفة إنما مرتبة، وشعره مصفف بعناية خلافا لمعظم العرافين. إنه رجل لطيف، وهذا أفضل وصف ينطبق عليه. في يده كيس من الخيش وعصا الكهانة[1]. يتحدث إلى الجمهور بترفع هو عادة لديه.

جيروبم: أنا عراف. عراف، فطرة وميولا. ربما شاهدتم الكثيرين منا في الشوارع، كثيرين في كنائس خاصة بهم، كثيرين في الداخل، كثيرين يقودون مواكب، وكثيرين يبحثون عن مواكب يقودونها، كثيرين يبرئون الصم، وكثيرين يحيون الموتى. وفي الحقيقة الناس درجات، وهذا ينطبق على العرافين. أظن أن والديّ وجدا أنني ولدت بشعر طويل وغزير، حتى ليقال إنه كان يصل إلى عيني وينسدل حتى رقبتي، وقد وجدا في ذلك إشارة إلى أنني ولدت عرافا بالفطرة.

وحين كبرت أحببت هذه المهنة التي كانت تحظى بأكبر احترام فيما مضى، حين كانت المنافسة فيها شريفة. أما في السنوات القليلة الماضية، فقد أصبح الشاطئ يعج بكل من هب ودب، وبسبب الصراع على الأرض صارت مهنتنا

سخرية للساخرين. هناك عرافون أعرفهم بالاسم ممن حصلوا على الأراضي التي في حوزتهم حاليا، بأن جعلوا التائبات يهززن صدورهن في نشوة روحية. وهذا ما أغضب أعضاء المجلس البلدي، فجاءوا لتقسيم أرض الشاطئ بيننا.

نعم. لقد وصل الأمر حدا تعين معه على المجلس البلدي التدخل لوضع حد للحرب الإقليمية بين العرافين. أما معلمي الذي تعلمت أصول المهنة على يديه، فتمسك بمطالبه وفاز بقطعة من الأرض. ومن جانبي ساعدته بحملة تقودها ست راقصات من المنطقة الفرنسية في لباس شهود يهوه[٢]. إلا أن ما غاب عن معلمي هو أنني في واقع الأمر كنت أساعد نفسي.

ولتعلموا أن الشاطئ في هذه الأيام لا يستحق عناء الحصول عليه. فلقد تناقص المصلون إلى قلة قليلة، وبات علينا أن نقاتل للفوز بأي أتباع جدد. فجميعهم يفضلون موسيقى الهاي لايف[٣] على أنغام التراتيل الدينية، كما أن التلفزيون يبقي رعاتنا الأغنياء في منازلهم، وقد كان من عاداتهم الحضور في المساء حين

لا يراهم أحد. أما الآن فهم يلزمون منازلهم لمشاهدة التلفزيون.

غير أن كل غرضي من القدوم إلى هذا المكان هو أن أريكم يوما حافلا نوعا ما من أيام حياتي، يوما ظننت فيه لبرهة أن لعنة معلمي العجوز سوف تتحقق. وقد أربكني ذلك إلى حد ما، ولكن... الرب حفظني.

(يدخل المعلم العجوز وهو يلوِّح بقبضته)

العراف العجوز: أيها الوغد الجاحد! أهكذا تكافئني على ما قضيته من سنين في تدريبك؟ أهكذا تخرجني أنا أستاذك العجوز من أرضي، وتقول لي إنني قد عشت أكثر من اللازم؟ ألا فلتجازَ بمثل ما جازيتني به! وليدر الزمان دورته فتلفي نفسك عاجزا كما جعلتني.

(يواصل كيل اللعنات بصوت غير مسموع)

جيروبم: (متجاهلا إياه) إنه لا يحرك فيّ ساكنا. فهذا العجوز الخرف قد صورت له حماقته أنني ما نظمت الحملة للحصول على الأرض ودخلت المنافسة مع (يعد على أصابعه) - إخوان يهوه، والسرافيم والكرابيم[٤]، وأخوات يوم القيامة، وكاوبوي السماء، ناهيك بـ شهود يهوه الذين قلدتهم الفتيات الفرنسيات -

حسن. لا بد أنه ظن بغروره أنني فعلت كل ذلك من أجله.

العراف العجوز: أيها المسخ! أيها الكافر بالجميل! ألعنك لعنة بنات الشقاق! ألا فليلقين بك إلى الهلاك، ولتجرِ عليك بنت حواء الخراب.

(يخرج العراف العجوز وهو يلوح بقبضته)

جيروبم: يا لها من لعنة رخيصة! فمعلمي يعلم تمام العلم أن لدي نقطة ضعف واحدة، وهي النساء. ولتعلموا أن الذنب في ذلك ليس ذنبي، إذ لا يمكنكم إنكار أنني على قدر لا بأس به من الوسامة... لا، لا تسيئوا فهمي، فلست مغرورا على الإطلاق. إلا أنني قد قررت أن ألزم جانب الحذر، فمهنة العرافة تجري في دمي ولن أجعلها رهنا بتقلبات النساء، ولهذا فقد حرصت على الابتعاد عنهن. ومنذ أن بلغت الرشد لم يتلطخ اسمي بأي فضيحة. ثم جاء اليوم الأسود الذي استيقظت في صباحه فكانت بنت حواء أول من رأيت. ولكن أن تقارنوا ذلك بشعور من يستيقظ ذات صباح ليجد عقابا جاثما على قائم سريره.

عتمة

المشهد الثاني

الصباح الباكر.

بعض الصواري والشباك وغيرها من النفايات، مما يدل على وجود قرية صيادين.

أسفل الخشبة، يمينا، نرى زاوية كوخ ذي نافذة في جانب وباب في جانب آخر.

يسمع جرس دراجة، وبعد عدة ثوان تظهر الدراجة نفسها وهي تتجه نحو الكوخ. سائق الدراجة رجل يميل إلى القصر حتى لا تكاد رجلاه تمسان الدواستين، وأمامه تجلس امرأة على قضيب الدراجة، الذي لفت حوله حصيرة، وعلى حامل الدراجة الخلفي كيس سفر كبير يتدلى من جانبه كرسي المرأة المنزلي.

أمـــــوبـة: قف هنا. قف هنا، هذا هو بيته.

(يدوس الرجل على الفرامل بشكل مفاجئ فيميل الوزن إلى جانب المرأة التي تسند الدراجة بقدمها وهي تتمايل قليلا. الحقيقة أن نزولها عن الدراجة بهذه الطريقة ليس أسوأ من أي نزول عادي، إلا أن فيه ما يكفي لإثارة إحساسها بالظلم).

أمـــــوبـة: (لهجة الشهيدة التي تستخدمها طبيعية وعفوية بحكم العادة): أظن أننا جميعا نفعل ما

في وسعنا، إلا أنني ظننت أنك بعد كل هذا العمر، ستكون أكثر رفقا بي.

شـــومـــة: ولكنكِ لم تنبهيني تنبيها كافيا فاضطررت للفرملة بشكل مفاجئ.

أمــــوبـة: ما أكثر ما تشتكي! من يسمعك يظن أن كاحلك أنت هو الذي انكسر (وقد أخذت تعرج في مشيتها).

أمــــوبـة: كسر؟ هل سمعتني أتذمر؟ لقد فعلت ما بوسعك. ولكن إذا انكسرت أصابع قدمي لمجرد أنني قفزت فوق دراجتك مثل القرود فعليك أن تعترف بقسوة الحياة بالنسبة إلى المرأة.
لقد فعلت ما...

شـــومـــة: نعم، لقد فعلت ما بوسعك، أعلم هذا وأقر به.

أمــــوبـة: أرجوك... أعطني هذا المقعد... أنت تعلم أنني لست ممن يضخمون الأمور، ولكنني لست على ما يرام، وأنت خير من يعلم ذلك. شكرا (تأخذ المقعد)... لست على ما يرام، هذا هو كل ما في الأمر، وإلا لما كنت قلت شيئا.
(تجلس قرب باب الكوخ وهي تتنهد بعمق وتأخذ في تضميد قدميها).

شـــومـــة: هل أضمدها لك؟

أمــــوبـة: لا، لا. لا حاجة إلى ذلك.
(يتردد شومة ثم يبدأ بإنزال الصرة)

شـــومـــة: هل أنت متأكدة أنك لا تريدينني أن

أعـود بك؟ إذا مـا تورمت قـدمك بعـد ذهابي.

أمـــوبـة: أسـتطيع العناية بنفـسي. فكثـيـرا مـا اعـتنيت بنفـسي وبك أيضـا. مـا عليك إلا مساعدتي بإنزال الحاجيات ووضعها عند الجدار... أنت تعلم أنه لولا ما أصاب كاحلي لما طلبت منك هذا.

(بعد أن وضع شومة الكيس بجوارها ظنا منه أن هذا هو كل ما في الأمر، يعود الآن لفك الصرة فيخرج منها مجمرة صغيرة، ملفوفة بغطاء محكم من الورق، وقدرين من قدور الطهو الصغيرة).

أمـــوبـة: لقد تفاديت تسرب الحساء، أليس كذلك؟

شـــومـة: (مظهرا شيئا من الحنق): هل ترين زيتا على الغلاف؟ (يرمي الغلاف أرضا).

أمـــوبـة: ولِمَ لا تشتمني؟ هيا، اشتمني! وكل ما فعلته أن سألتك إذا كان الحساء قد تسرب، ولا أظن هذا سؤالا لم يسأله أحد من قبل. لولا كاحلي لفعلت كل شيء بنفسي. من يسمعك يظن أن الذنب ذنبي... احترس احترس، قلت لك! لقد كادت الفلينة تخرج من القنينة. أنت تعلم صعوبة الحصول على ماء نظيف في هذا المكان.

(ينزل شومة عن الدراجة قنينتين مليئتين بالماء، ورزمتين صغيرتين ملفوفتين بالورق، وأخرى مشدودة بأنشوطة، وعلبة ثقاب، وقطعة من البطاطا الحلوة، وعلبتين من القصدير، إحداهما من نوع أُفالتاين[٥] فيما يبدو، إلا أنها تحوي مادة أخرى بالطبع، وملعقة صغيرة من النوع القابل للكسر وسكينا، هذا بينما تواصل أموبة، دون كلل، مونولوجها الذي تلقيه دون اكتراث تقريبا).

أموبة: أتوسل إليك أن تحرص على هذا البرطمان... اعلم أنك لم تكن ترغب أن تأتي بي، ولكن هذا ليس ذنب البرطمان، أليس كذلك؟

شومة: من قال إني لا أرغب في المجيء بك إلى هنا؟

أموبة: قلت إن المسافة أطول من أن تقطعها على الدراجة... أظنك كنت تريدني أن آتي ماشية.

شومة: أنا؟

أموبة: وبعد أن كسرت قدمي سألتني إذا كنت أريد العودة إلى المنزل. لقد أسعدك ما حل بي.. ولولا أنني لست ممن يسيئون الظن بأي إنسان، حتى لو كنت أنت، لقلت إنك فعلتها متعمدا.

(ينتهي إنزال حاجياتها فينفض شومة الكيس).

أمـــــــوبـة: دع هـذا الـكيس هـنـا بالله عليك. فـــقـــد أستعمله وسادة لي.

شـــومــــــة: هل تريدين شيئا آخر قبل أن أذهب؟

أمـــــــوبـة: لقد نسيت تلك الحصيرة. اعلم أنها ليست شيئا يـذكر، ولكنني أحتاج إلى شيء أنام عليه. طبـعـا هناك نسـاء ينمن في أسـرة، ولكنـني لا أتذمـر. فـقـد حـالفـهن الحظ في أزواجـهن، والحظ لا يحالف جميع الناس فيما أظن.

شـــومــــــة: ولكن لديك سرير في المنزل.

(يفك الحـصـيـرة الملفـوفـة حـول قـضـيب الدراجة العرضي).

أمـــــــوبـة: إذن يجب أن أهمل عـملي. يجب أن تـكسـد تجـارتي إذا كـان لدي سـرير في المنزل. أحـمـد الله على أنني لست من النساء اللواتي...

شـــومــــــة: أكاد أتأخر عن عملي.

أمـــــــوبـة: أعلم أنك تتشوق إلى الذهـاب، وما عملك إلا ذريعـة تتذرع بهـا. ويا له من عمل: حـاجب أول في أحـد مكاتب الحكومـة المحليـة، لقد أصبح زملاء دراستك وزراء يركبون سيارات ضخمة.

(يركب شومة دراجته ويلوذ بالفرار، فتلاحقه أموبة بصياحها، مديرة رقبتها في اتجاهه).

أمـــــــوبـة: لا تنسَ أن تحضـر مزيدا من الماء حين ترجع من عملك (تعود إلى وضعيتها السـابقة وتتنهد

بعـمق). إنه لا يدرك أنني أفـعل كل هذا من أجله. فـهو ليس أسوأ من غيره من الرجال، غير أنه لا يبذل أي جهد لتكون له قيمة في الحياة. حاجب أول! هل أذهب إلى قبري زوجة حاجب أول؟

(إنها جالسة بحيث لا يراها العراف على الفور عندما يفتح النافذة لاستنشاق بعض الهواء النقي. يحدق العراف إلى الخارج لبضع لحظات، ثم يسترخي ويهم بالذهاب فيرى ظهر أموبة ويميل إلى الخارج محاولا رؤيتها بالكامل، فيستحيل عليه ذلك. وعندها يترك النافذة وقد تملكته الحيرة ويتجه إلى الباب الذي نراه وهو ينفتح بمقدار قدم واحدة ثم ينغلق بسرعة. هذا بينما أموبة تمضغ قطعة من الكولا بهدوء. وحين ينغلق الباب تخرج قلما ودفترا وتدقق في بعض الحسابات.

ويعود الأخ جيروبم، الذي تعرفه رعيته باسم الأخ جيرو، فيظهر على النافذة ومعه هذه المرة كيس الخيش وعصا الكهانة. ينزل الكيس على الأرض، ثم يرفع إحدى رجليه فوق النافذة).

أمــــوبـة: (دون أن تنظر إلى الوراء): أين تظن نفسك ذاهبا؟

(يعود الأخ جيرو إلى المنزل وهو يكاد يقذف نفسه قذفا)

أموبة: جنيه وثمانية شلنات وتسعة بنسات لي ثلاثة أشهر عند هذا الذي يدعو نفسه رجلا من رجال الله!

(تنحي المفكرة جانبا وتفك الغلاف عن المجمرة وتشرع في إيقادها تمهيدا لإعداد الفطور. ينفتح الباب ثانية بمقدار قدم أخرى).

جيرو: (يتنحنح): أختاه! يا أختي في الله.

أموبة: آمل أنك نمت جيدا يا أخ جيرو.

جيرو: نعم، والحمد لله! أنا... آمل أنك لم تأت للوقوف في طريق المسيح وعمله.

أموبة: هذا إذا لم يقف هو في طريقي وطريق عملي.

جيرو: احذري الكبرياء يا أختاه! ولا تنطقي بالإثم!

أموبة: اسمع أيها المدين الملتحي! أنت مدين لي بجنيه وثمانية شلنات وتسعة بنسات؛ ولقد وعدتني بالدفع منذ ثلاثة أشهر، ولكنك انشغلت طبعا بالقيام بعمل الله. حسنا! فلتعلم أنك لن تغادر هذا المكان قبل أن تقوم ببعض من عملي أنا.

جيرو: ولكن النقود ليست في المنزل، ولا بد أن آتي بها من مكتب البريد حتى أدفع لك.

أمـــوبـة: (وهي تهوّي المجمرة): فكر بطريقة أخرى للاحتيال علي.

(يغلق الأخ جيرو الباب).

تمر بائعة على رأسها إناء كبير من اليقطين.

أمـــوبـة: هيه! ماذا تبيعين؟

(تتردد البائعة ثم تقرر مواصلة سيرها)

أمـــوبـة: أنت! ألم أنادك؟ ما الذي تحملينه على رأسك؟

البـائعـة: (تتوقف دون أن تلتفت): هل تشترين للتجارة أم لاستعمالك الخاص؟

أمـــوبـة: أخبريني أولا ماذا تبيعين.

البـائعـة: سمكا مدخنا.

أمـــوبـة: لا بأس! فلنر!

البـائعـة: (تتردد): حسنا! ساعديني في إنزالها. غير أنني في العادة لا أتوقف على الطريق.

أمـــوبـة: ألست ذاهبة إلى السوق طلبا للمال؟ أولن أدفع لك مالا أيضا؟

البـائعـة: (بينما تنهض أموبة وتنزل عنها حملها): حسنا! ولكن تذكري أننا ما نزال في الصباح الباكر، فلا تفسدي نهاري من أوله بالمساومة.

أمـــوبـة: حسنا، حسنا! (تنظر إلى السمك). كم سعر الدستة؟

البـائعـة: جنيه وثلاثة شلنات. لا تنقص بنسا واحدا.

أمـــــوبـة: من سمك الأسبوع الماضي، أليس كذلك؟

البـــائعـــة: لقد سبق أن قلت لك، أنت أول زبائني، فلا تفسدي علي تجارتي بصباح مشؤوم.

أمـــــوبـة: (تمسك سمكة وتقربها من أنفها): حسنا! ولكن رائحتها كريهة قليلا، أليس كذلك؟

البـــائعـــة: (تعيد وضع الأغطية): ربما لأنك لم تستحمي منذ أسبوع.

أمـــــوبـة: ماذا؟ حسنا! اشتميني، هيا اشتميني! وكل ما أردته بضعة أسماك من أسماكك العفنة. هذا جزاء مراعاتي لجوار حولاء حقيرة مثلك. أيتها المتسولة.

البـــائعـــة: ما زلنا في أول الصباح، ولن أرد عليك فأفسد نهاري بلسانك القذر. فأبعدي أصابعك الملعونة عن بضاعتي ولا تفتحي عليك باب جهنم!

(ترفع الحمل إلى رأسها بمفردها).

أمـــــوبـة: هيا احملي عبء جرائمك وأغربي عن وجهي بأسمالك البالية.

البـــائعـــة: أدعك لمعدتك المنتفخة أيتها العاقر الشريرة. لا أراك الله خيرا في حياتك.

أمـــــوبـة: أنت تلعنينني الآن، أليس كذلك؟

(تهب واقفة في الوقت الذي ترى فيه الأخ جيرو وهو يفر من خلال النافذة).

النجدة! لص! لص! أيها الوغد الملتحي، أتسمي نفسك عرافا؟ ولكنك ستجد الخروج أسهل من الدخول. سترى ذلك، وإلا فلن يكون اسمي أموبة.

(تتحول نحو البائعة التي سبق وغادرت المكان).

أترين ما فعلته أيتها الضفدعة الطويلة الرجلين؟ يا تاجرة المسروقات! انتظري حتى يقبض عليك رجال الشرطة.

(قرب نهاية هذا الحديث يسمع صوت طبول من النوع المسمى بالجانجان صادرا من الجانب المقابل للكوخ. يدخل صبي يحمل طبلا على كل كتف من كتفيه ويمشي نحوها وهو يدق على طبلتيه فتستدير على الفور).

أموبة: أغرب عن وجهي أيها الشحاذ القذر! هل تظن نقودي لأمثالك؟

(يلوذ الصبي بالفرار، ثم يستدير فجأة ويودعها بضربة استفزازية على طبلتيه.

أموبة: لا أدري ماذا حل بالدنيا؟ عراف لص وبائعة محتالة! والآن يأتي هذا المخلوق برأسه المليء بالقمل ليستجدي نقودي. الأفضل له، هو والعراف، أن يصحبا أمهما بائعة السمك

تطفأ الأضواء بالتدريج

المشهد الثالث

بعد برهة قصيرة من الزمن. الشاطئ. بعض الأوتاد وجرائد النخيل تعين حدود المنطقة التي تشغلها كنيسة الأخ جيرو. على أحد الجانبين شجرة نخيل، وفي الوسط كومة رمل، هذا إضافة إلى مرآة صغيرة وبضع زجاجات فارغة مرتبة يتدلى من أحدها صليب ومسبحة. الأخ جيرو واقف كما كان في آخر مرة رأيناه فيها حين فر هاربا. وهو يلبس رداء أبيض فضفاضا وقبعة من المخمل الناعم بيضاء اللون كذلك. إنه يقف باستقامة ممسكا عصا الكهانة بيد، بينما يمسح على القبعة البيضاء باليد الأخرى.

جيرو: لا أدري كيف استطاعت أن تجد بيتي. حين اشتريت منها البضاعة لم يخطر لها أن تسأل أي أسئلة، فقد كانت مهنتي ضمانة كافية للدفع. ولا يعني هذا أن عملي يدر دخلا كبيرا. كما أنني لم أشتر هذه القبعة المخملية بداعي الترف. إذ إنها ما كانت ضرورية لولا أن المرء صار مضطرا أكثر فأكثر إلى أن يميز نفسه عن الحثالة الذين يلطخون مهنتنا بالعار. من الواجب على المرء أن يكون بارزا، ومميزا، ولهذا فقد تعلق قلبي باسم معين. فحين ينظر الناس إلى

قبعتي المخملية، ويفكرون في الخير الذي تنطوي عليه نفسي، فسوف ينادونني من دون شك جيرو ذا القلب المخملي، (يعتدل في وقفته) جيرو النقي، بطل الحملة المسيحية المفوه...

حسنا، لقد أفشيت السر الذي لم أبح به لأي مخلوق من قبل. ولكن هذا هو طموحي، إذ يجب أن يكون للإنسان اسم يثير الخيال، لأن الخيال جزء من الروح، ولابد للاسم من أن يستحوذ على خيال العامة. نعم، لا بد من مجاراة التطور، والافتقار إلى الجاذبية لا يحقق شيئا حتى في مهنة العرافة (ينظر حواليه)، يا لهؤلاء الدجالين! ليت الشاطئ يخلو لي وحدي. (بعنف مفاجئ)، ولكن كيف للمرء أن يحفظ كرامته حين تجبره بنت حواء على مغادرة بيته من النافذة؟ لعن الله تلك المرأة. لم يكن يخطر لي على بال أنها تتحدى رجلا من رجال الله. جنيه وثمانية شلنات مقابل هذه القبعة الهزيلة؟! إنها سرقة سافرة.

(يلقي نظرة متفحصة إلى المكان. تمر شابة ناعسة ليس عليها إلا إزارها).

جيرو: تمر هنا كل صباح في طريقها إلى السباحة. يا لها من مخلوقة قذرة!

(يتثاءب) يسرني أنني وصلت قبل قدوم أي زبائن - أقصد مصلين - حسنا، فليكن، زبائن،

فكل صباح ينتابني شعور صاحب متجر ينتظر قدوم الزبائن. المداومون منهم يصلون في أوقات محددة، أناس ساخطون، غريبو الأطوار. أعلم أنهم ساخطون لأنني أبقيهم ساخطين... فما أن يحسوا بالاكتفاء حتى يتوقفوا عن المجيء. خذ مثلا معاوني الطيب شومة الذي يريد أن يضرب زوجته، ولكنني لا أسمح له بذلك. فلو سمحت له لأصبح راضيا، مما يعني أن يذهب واحد من رعيتي إلى غير رجعة. مادام لا يضربها فهو يأتيني عديم الحيلة، وعندها فلا خوف من أن يتمرد علي. وإذن فقد أعددت لكل شيء عدته.

(تعود الفتاة فتعبر الخشبة. لقد انتهت من السباحة للتو، والفرق ظاهر في وجهها وشعرها، وقد علتهما النظافة والإشراق. تواصل تنظيف نفسها بإزارها وهي ماشية).

جيرو: (وهو يلاحقها بعينه طوال الوقت): في كل صباح، في كل يوم، أشهد هذا التحول الرباني. رباه!

(يهز رأسه وهو يصيح)

صلِّ أيها الأخ جيروبم، وصلِّ. صلِّ طلبا لقوة تواجه بها هذا الإغواء.

(يخر على ركبتيه مغلقا قبضتيه وقد تقلص وجهه من الألم.

يدخل شومة وهو يدفع دراجته، ثم يسندها إلى شجرة نخيل)

جـــيــــرو: (من دون أن يفتح عينيه): صلٍّ معي يا أخي، صلِّ معي. صلِّ معي لأقاوم هذا الضعف... لأقاوم هذا الضعف. رباه!

شـــومـــة: (يخر راكعا على الفور): ساعده يارب. ساعده يارب.

جـــيــــرو: لأقاوم هذا الضعف. يا رب إبراهيم.

شـــومـــة: ساعده يارب. ساعده يارب.

جـــيــــرو: لأقاوم هذا الضعف، يا رب داوود. يا رب صاموئيل.

شـــومـــة: ساعده، ساعده، ساعده.

جـــيــــرو: يا رب أيوب . يا رب إيليا .

شـــومـــة: (بانفعال متزايد): ساعده يارب، ساعده يارب، هيا ساعده، هيا ساعده. سريعا، سريعا.

جـــيــــرو: انزع من قلبي تلك الصورة. انزع هذا الحب لبنات حواء...

شـــومـــة: ساعده يا آدم. ساعد ولدك. ساعد ولدك. هيا.

جـــيــــرو: أخمد تلك الشهوة لبنات حواء.

شـــومـــة: يا رب ساعده مرة، يا رب يسوع.

جـــيــــرو: أبراكا، أبراكا، أبراكا.

(يشاركه شومة).

هيبرا، هيبرا، هيبرا، هيبرا، أبراكا، أبراكا.

جـيـرو: (ينهض): بارك الله فيك يا أخي. (يستدير) شومة!

شـومـة: صباح الخير يا أخ جيرو.

جـيـرو: لست في عملك يا شومة. لم يسبق لك أبدا أن أتيت في الصباح.

شـومـة: لا، لقد ذهبت إلى العمل ولكنني اعتذرت بالمرض.

جـيـرو: لماذا؟ هل أنت مريض يا أخي؟

شـومـة: لا يا أخ جيرو... أنا...

جـيـرو: آها. أنت تعاني مشكلة لم تطق صبرا إلى أن تبلغها لله. سوف نصلي معا.

شـومـة: أخ جيرو ... أنا ... (يتوقف نهائيا).

جـيـرو: هل تجد الأمر صعبا؟ إذن فلندعُ الله في صمت.

(يعقد شومة ذراعيه ويرفع عينيه إلى السماء).

جـيـرو: ماذا دهاه يا ترى؟ الحقيقة أنني عرفته بمجرد أن فتح فمه، فهذه البربرة الحيوانية لا تصدر إلا عن الأخ جيرو حين يصيبه انفعال روحي. وهذا ما يروق لي تماما. إنه جلف بالفعل، ولكن هذا الأمر في مصلحتي، لأنه يحول بينه وبين أن يحسب نفسه ندّا لي.

(ينضم إلى شومة في وضعية التأمل، ولكنه يتركها على الفور تقريبا، كأنه يتذكر شيئا ما).

رحماك يارب. لقد أحسنت فعلا بالإفلات من تلك اللعينة. إن تلميذي هذا يظن أنني أنام على الشاطئ، هذا إذا كنت أنام أصلا، وهذا ما يظنه معظم المريدين. أما أنا فأفضل النوم على سريري، فهو أكثر راحة بكثير، كما أن الليل بارد على الشاطئ. وعلى رغم ذلك فالأفضل لهم أن يروا فيّ زاهدا من نوع ما.

(يستأنف وضعية التأمل بضع لحظات)

(بلطف) افتح ذهنك للرب يا أخي، فأنت بين يديه، افتح ذهنك للرب.

(يلبث شومة صامتا لبعض الوقت، ثم ينفجر بشكل مفاجئ)

شومة: أيها الأخ جيرو، لا بد أن تتركني أضربها.

جيرو: ماذا؟

شومة: (بيأس): مرة واحدة أيها العراف، مرة واحدة فقط.

جيرو: أيها الأخ شومة.

شومة: مرة واحدة أيها العراف، أضربها فيها بشدة. وأقسم أنني لن أسألك هذا ثانية.

جيرو: أيها المارق! ألم أبلغك إرادة الرب في هذه المسألة؟

شـــومـــة: ولكن يجب أن أضـربهـا أيهـا العـراف. لا بد أن تنقذني من الجنون.

جـــيـــرو: سأنقذك إذا أطعتني.

شـــومـــة: أطيعك في كل شيء عدا ذلك. ولكن دعني أضربها مرة واحدة فقط.

جـــيـــرو: مارق!

شـــومـــة: لن أضربها بشدة. علقة صغيرة فقط... مرة واحدة فقط.

جـــيـــرو: خائن!

شـــومـــة: مـرة واحـدة فـقط. ولـن أسـأل مـرة ثانيـة. اعمل فيّ هذا المعروف. اجعلني أضربها اليوم.

جـــيـــرو: أيها الأخ شومة، ماذا كنت قبل أن تأتي إليّ؟

شـــومـــة: أيها العراف.

جـــيـــرو: (بحزم): ماذا كنت قبل أن تغمرك نعمة الله؟

شـــومـــة: عاملا أيها العراف. عاملا عاديا.

جـــيـــرو: أولم أتنبأ بأنك ستصير ساعيا؟

شـــومـــة: بالضبط يا أخي، صحيح.

جـــيـــرو: ثم حاجبا؟

شـــومـــة: بالضبط يا أخي، صحيح.

جـــيـــرو: وبعدها ترقية سريعة. أولم أتنبأ بذلك؟

شـــومـــة: مضبوط أيها العراف.

جـــيـــرو: وماذا أصبحت الآن؟ ماذا أصبحت؟

شـــومـــة: حاجبا أول.

جيــــرو: بفضل من الله. أولم أرك، وبفضل من الله، عند طاولة كبير الموظفين وأنت وراء المكتب تصدر الأوامر؟

شـــومـــة: نعم أيها العراف ... ولكن...

جيــــرو: وأمامك هاتف، وجرس لاستدعاء الحاجب؟

شـــومـــة: صحيح أيها العراف، ولكن...

جيــــرو: ولكن؟ ولكن؟ اركع (مشيرا إلى الأرض)، اركع.

شـــومـــة: (يفرك يديه): أيها العراف.

جيــــرو: اركع. اركع أيها الآثم. اركع يا ذا القلب المتحجر، يا ربيب عشتار وبعل[٦]. اركع، اركع.

شـــومـــة: إني أعيش في جحيم.

جيــــرو: سامحه يارب، سامحه.

شـــومـــة: في صباح هذا اليوم بالذات...

جيــــرو: سامحه يارب، سامحه.

شـــومـــة: هذه المرأة ستقتلني....

جيــــرو: سامحه يا رب، سامحه.

شـــومـــة: كل الطريق على دراجتي.

جيــــرو: سامحه يا رب، سامحه.

شـــومـــة: ولا كلمة شكر واحدة.

جيــــرو: اخرجي يا عشتار. اخرج يا بعل.

شـــومـــة: لم أجد منها إلا الإساءة والإساءة والإساءة ...

جيــــرو: يا ذا الفؤاد المتحجر...

شــومـــة: لو أستطيع أن أضـربهـا مـرة واحـدة، مـرة واحدة فقط ....

جـيـــرو: (يصيح به إلى أن يصمت): اغفر لهذا الآثم. اغفر له في النهار، اغفر له في الليل، اغفر له في الصباح، اغفر له في الظهر...

(يدخل رجل فـيـركع على الفـور ويردد من ورائه «آمين»، أو «سـامـحـه ياربّ»، ويحـذو اللاحقون حذوه)

.... اللهم رقق له قلبه. أيها الأخ شـومـة، هذه المرأة التي تتحرق لضربها هي سندك، فاحمله بعزم. إنها الاختبار الذي أرسلته لك السماء، فلا تمسسها بسوء. آمرك ألا تقسو عليها بكلمة واحدة. صلِّ أيها الأخ شومة، صل طلبا للقوة في وقت المحنة هذا. صل طلبا للقوة والثبات (يتركهم جيروبم لمواصلة إنشاد اللازمة ذاتها «الرحمة، الرحمة»، فيما يلقي التعليقات التالية):

جـيـــرو: ها قد بدأوا يتوافدون وفق الترتيب المعتاد. هذا دائمـا أول من يأتي، وقـد تنبـأت له بأنه سيصبح زعيما في بلدته. وتلك نبوءة مأمونة للغاية، مثلها مثل أكثر نبوءاتنا شعبية، ومفادها أن شخصا ما سيعيش حتى يبلغ الثمانين. فإن لم تتحقق هذه النبوءة...

(يدخل زوجان عجوزان وينضمان إلى الإنشاد كمن سبقهما).

فلن يعرف صاحبنا ذلك حتى يصير على الجانب الآخر. وهكذا فالجميع سعداء.

واحد من أخلص أتباعي، وهو لسوء الحظ لا يستطيع المجيء إلا في نهاية الأسبوع، يعتقد اعتقادا راسخا أنه سيصبح رئيس وزراء دولة الشمال الشرقي الأوسط، هذا عندما تؤسس. الحقيقة أنني خاطرت نوعا ما بإطلاق هذه النبوءة، إلا أنني كنت وقتها في حاجة ماسة إلى المصلين.

(ينظر في ساعته) والآن تصل أكثر التائبات إخلاصا. إنها تريد أطفالا، لذلك فحالتها محزنة، أو هذا ما يبدو عليها. غير أنها تستطيع ملاحظة كل ما يجري حولها، حتى وهي في أشد نوبات الندم تحقيرا للذات. الحقيقة، إنه من الأفضل لي أن أعود إلى الصلاة، فهي دائما أول من ينبهني إلى أن تفكيري ليس مركزا على الصلاة...

(يغير من أسلوبه) انهض يا أخ شومة. انهض ودع الرب يدخل قلبك. ياخادم الرب، ألست أنت من سيحط ردائي على كتفيه؟

(تدخل امرأة، هي التائبة، وتركع على الفور في وضعية الصلاة)

شـــومـــة: بلى يا أخ جيرو.

جـــيـــرو: إذن فيمَ تغلق قلبك؟ الرب يقول إنه لا يجوز لك أن تضرب المرأة التي اختارها لتكون زوجتك وسندك في وقت المحنة، فهل تعصيه؟

شـــومـــة: لا يا أخ جيرو.

جـــيـــرو: هل تعصيه؟

شـــومـــة: لا يا أخ جيرو.

جـــيـــرو: المجد لله.

جماعة المصلين: المجد لله.

جـــيـــرو: هاليلويا...

الجـمـاعـة: هاليلويا...

(يغنون على إيقاع التصفيق «سأمضي وراء يسوع» وهم يتمايلون، ثم يتحولون إلى الرقص حين يتزايد حماسهم.

حين يبدأ الغناء، يناول جيرو قنينتين لشومة الذي يمضي لملئهما من ماء البحر.

لا يكاد شومة يخرج حتى يظهر الطبال راكضا من أعلى الخشبة وقد أثقله حمل طبلتي «الجانجان»، وهو يلقي وراءه نظرات خائفة تنم عن رعب هائل مما يطارده كائنا من كان. وبعد عشر ياردات أو ما يقارب ذلك،

يتبين أن من يطارده امرأة قد شدت نطاقها حول خصرها بإحكام، ورفعت إزارها عن قدميها، وشمرت عن كميها إلى ما فوق كتفيها، وهي تحث الخطى وراء الطبال من دون أن تتخطاه.

أما جيروبم الذي واصل التحديق بها بتركيز يمتزج بالألم، فيعود إلى وعيه ويخر راكعا وهو يهمهم.

يعود الطبال إلى الظهور ويعبر الخشبة في اتجاه مختلف، وهو لا يزال يركض وتتبعه المرأة بالسرعة الثابتة ذاتها، والبعد بينهما لم يتناقص. يناديه جيروبم)

جيـرو: ماذا فعلت لها؟

الطبـال: (من دون أن يتوقف): لا شيء. كنت أدق على الطبل فحسب، فظننت أنني أفعل ذلك لإهانة والدها.

جيـرو: (حين تصير المرأة في مرمى النظر): أيتها المرأة.

(تتابع المرأة سيرها إلى الخارج، ويدخل شومة بالقنينتين المليئتين)

جيـرو: (يهز رأسه): أعرفها جيدا، فهي جارتي. ولكنها تجاهلتني.

(يهم جيرو بمباركة الماء حين يظهر الموكب

نفسه ثانية، الطبال ووراءه المرأة)

جـــيــــرو: تعال إلي. لن تجرؤ على أن تمسّك

الطبـــال: (يزيد من سرعته): أنت لا تعرفها...

(تدخل المرأة في مجال الرؤية)

جـــيــــرو: أيتها الجارة، أيتها الجارة. يا أختاه في الدين...

(تتابع المرأة المطاردة إلى خارج الخشبة. يتردد جيرو، ثم يناول عصاه لشومة ويمضي في إثرهما)

شـــومـــة: (يتذكر فجأة): إنك لم تبارك الماء يا أخ جيروبم.

(إلا أن جيرو قد أصبح خارج نطاق السمع، أما شومة فمن الواضح أن المسؤولية الجديدة قد أربكته. يعبث بعصاه، وفي نهاية المطاف يستخدمها لقيادة الغناء الذي تواصل طوال الفترة السابقة، إلا أنه كان يهمد عند ظهور المتبارين، ثم يعود فينشط بعد مرورهما.

ولا يكاد شومة يبدأ قيادة فرقته الموسيقية حتى تخرج امرأة من الجماعة وقد أصابتها نوبة التائبين المعهودة)

التـــائبـــة: آ آ آ آ

شـــومـــة: (وقد استولت عليه المفاجأة): ما... ما...

ما... ماذا هناك؟

التـــائبـــة: آ آ آ آ

شـــومـــة: (يندفع إلى الخارج): يا أخ جيروبم. يا أخ جيروبم.

(يصيح شومة في كل الاتجاهات، ويعود حائرا في كل مرة ليحاول السيطرة على التائبة. وحيث إن قدوم جيروبم لا يبدو وشيكا، يبدأ بكثير من الارتباك في رش رذاذ الماء على التائبة، راسما علامة الصليب على جبهتها. إلا أن عليه أن يتم هذه العملية بسرعة كبيرة خلال البرهة القصيرة التي تنهض فيها التائبة من تخبطها على الأرض.

شـــومـــة: (متلعثما): اغفر لها يا أبانا.

الجـمـاعـة: (بقوة): آمين.

(يكون لرد فعل المصلين وقع الصدمة على شومة حتى يكاد يطرحه أرضا، إلا أنه يفيد في تعزيز ثقته بنفسه وقد تلقى هذاالدعم)

شـــومـــة: اغفر لها يا أبانا.

الجـمـاعـة: آمين.

(تواصل التائبة عويلها)

شـــومـــة: اغفر لها يا أبانا.

الجـمـاعـة: آمين.

شــومـــة: اغفر لها يا أبانا.

الجـمـاعـة: آمين.

شــومـــة: هيا اغفر لها يا أبانا.

الجـمـاعـة: آمين.

(يتزايد إيقاعهم بسرعة فيما يندمج شومة بدوره تماما)

شــومـــة: هيا اغفرلها.

الجـمـاعـة: آمين.

شــومـــة: اغفر لها مرة واحدة.

الجـمـاعـة: آمين.

شــومـــة: اغفر لها، أسرع، أسرع.

الجـمـاعـة: آمين.

شــومـــة: اغفر لنا جميعا.

(يتابع دعاءه الذي تتخلله لازمة «آمين»)

نعم يا أبانا، اغفر لنا جميعا، أنقذنا من الثرثرة، أنقذنا من متاعب المنزل.

(تتمدد التائبة على الأرض وقد خيم عليها السكون)

قل لزوجاتنا ألا يسببن لنا المشاكل. وأعطنا نقودا حتى يكون لنا منزل سعيد. أعطنا نقودا لحاجاتنا اليومية، ولا تنس من يكدحون منا كل يوم. اجعل كاتب اليوم موظف الغد، واجعل حاجب اليوم مسؤول

الغـــد. نعم يا أبانا، اجـعل حـــاجب اليـــوم مسؤول الغد.

(يردد المصلون بنشوة متزايدة)

من هم تجار صغار اليوم، اجعلهم متعهدين. كـبـارا في الغـد. من يكنسـون الشـارع اليـوم، أعطهم مكاتب كبيـرة في الغد. من يمش على قدميه اليوم، أعطه دراجة في الغد. ومن عنده دراجة اليوم، أعطه سيارة في الغد.

(عند هـذه المرحلة يـردد المصلون مـن ورائـه بحماسة طاغية)

أقـول من يجـر دراجـة اليـوم، أعطه سـيـارة كبيـرة في الغد. أعطـه سيـارة كبيـرة في الغد، أعطه سيارة كبيرة في الغد...

(تدخل المرأة الغاضبة في مجال الرؤية وهي تخطو بالطريقــة الســابقــة نفــسـهــا، إلا أن الطبلتين الآن قد صــارتا في حـوزتها. وبعـدها بعـدة خطوات يجـرجـر الطبـال خطواته بيـأس وهـو يتوسل)

الطبـــــال: أتوسـل إليك، أعطني الطبلتين. أسـتـحلفك بالله. لم أكن أقـصــد إهـانـة أبيك .. أناشــدك الله ... لم أكن أقـصـد إهانـة أبيك. كنت أطبل فقط.. أقسم بالله أنني كنت أطبل فقط...

(يعبران الخشبة)

التائبة: (التي استعادت الكثير من حيويتها منذ القسم الأخير من الصلاة، مشيرة بيدها): الأخ جيروبم!

(لقد دخل الأخ جيروبم في مجال النظر للتو. يهرع الجميع لمساعدته في دخول الحلقة. لقد تغير كثيرا، فثيابه ممزقة ووجهه ينزف).

جيرو: (بهدوء وألم): أشكركم جميعا أيها الإخوة والأخوات. أرجو أيها الأخ شومة أن تخبر هؤلاء الأصدقاء أن يغادروني. فلا بد لي من أن أصلي من أجل هذه الخاطئة. لا بد من أن أصلي صلاة خاصة لها.

(يشير إليهم شومة بالانصراف، فينصرفون على مضض وهم يثرثرون)

جيرو: الصلوات هذا المساء كالعادة، آخر العصر.

شومة (يصيح في إثرهم): الصلوات آخر العصر كالعادة. والأخ جيروبم يدعو لكم أن يحفظكم الله إلى ذلك الحين.

شومة: هل أنت على ما يرام يا أخ جيرو؟

جيرو: من كان يظن أنها تجرؤ على أن ترفع يدها على رجل من رجال الله؟

شومة: النساء بلاء يا أخي.

جيرو: لقد خامرني هاجس هذا الصباح أن النساء

سيلقين بي إلى الهلاك اليوم. إلا أنني فهمت الأمر من الناحية الروحية.

شـومـة: وها قد فهمت معناه الحقيقي يا أخ جيرو.

جـيـرو: منذ اللحظة التي نظرت فيها من نافذتي هذا الصباح وبنات الشقاق ينغصن عليّ عيشتي بطريقة أو بأخرى.

شـومـة: (بحماسة): هذا هو ما أعانيه نفسه أنا أيضا يا أخي. في كل يوم، في كل صباح، في كل ليلة. في هذا الصباح بالذات جعلتني آخذها إلى بيت رجل مسكين تقول إنه استدان منها بعض النقود، وحملت دراجتي بما يكفي لحصار يدوم أسبوعا، فلم أنل منها إلا الإهانة.

جـيـرو: هذه محنة من دون شك، وهي تتطلب الكثير من...

(ينتابه الشك فجأة)

يا أخ شومة، هل قلت إن زوجتك ذهبت هذا الصباح بالذات لتحاصر بيت... شخص يدين لها بنقود؟

شـومـة: نعم. لقد أخذتها هناك بنفسي.

جـيـرو: آه. هكذا إذن. (يتنحنح) هل زوجتك تاجرة؟

شـومـة: نعم، تاجرة صغيرة، يعني صوفا وحريرا وقماشا وما شابه.

جـيـرو: هكذا إذن. يا لها من امرأة مدبرة. (يهمهم)

آ آ آ ... أين يقع بيت هذا الرجل... أعني هذا الذي يدين لها بنقود؟

شومة: غير بعيد عن هنا. في مساكن آجت على بعد ميل أو ميلين من هذا المكان.

لم أكن أعلم حتى بوجود هذا المكان إلى اليوم.

جيرو: (مخاطبا نفسه): تلك هي زوجتك إذن...

شومة: هل قلت شيئا أيها العراف؟

جيرو: لا لا. لقد كنت أفكر كيف أن النساء لم يتغيرن إلا قليلا منذ أيام حواء، منذ أيام دليلة وإيزابل [7]. إلا أن علينا أن نشد من عزمنا. إن لدي صليبي أنا أيضا يا أخ شومة. ففي هذا الصباح وحده دخلت في صراع مع بنات الشقاق ثلاث مرات. أولاهن ... لا، دعنا من هذه. هناك واحدة غيرها تعترض طريقي وهي ذاهبة للسباحة هناك. ثم تنتظر إلى أن أكون غارقا في التأمل لتمر أمامي وهي تتبختر في غنج ودلال أمام ناظري...

شومة: (مخاطبا نفسه): ليتني أبادل صليبي بصليبك.

جيرو: ماذا يا أخ شومة؟

شومة: كنت أصلي فحسب.

جـيـرو: آه. هذا هو السبيل الوحيد. ولكنني ...آ آ آ ... أتساءل ما هي إرادة الله في هذه المسألة. فعلى رغم كل شيء، فإن المسيح نفسه لم يمانع في استخدام العقاب حين اقتضت الضرورة ذلك؟

شـومـة: (بلهفة): لا، إنه لم يتردد.

جـيـرو: في هذه الحالة يا أخ شومة، وحيث إن زوجتك خاطئة وآثمة ممعنة في الإثم، فأظن ...

شـومـة: نعم أيها المبارك...

جـيـرو: أن تأخذها الليلة إلى البيت...

شـومـة: نعم...

جـيـرو: وتضربها.

شـومـة: (يركع ويضم يد جيرو في يده): أنت عراف حقيقي.

جـيـرو: تذكر أن تفعل ذلك في بيتك. يجب ألا نعرض خلافاتنا العائلية أمام الناس. خذها إلى البيت، واضربها.

(يهب شومة واقفا ويأتي بدراجته)

شيء آخر يا أخ شومة ...

شـومـة: نعم أيها العراف...

جـيـرو: لقد ظهر لي المسيح ثانية هذا الصباح في الرداء نفسه الذي كان فيه حين سماك خليفة لي، ووضع سيفه الملتهب على كتفي ورسمني

فارسا، وأعطاني لقبا جديدا ... ولكن يجب ألا تفضي به لأحد، حتى الآن.

شومة: أقسم يا أخ جيرو.

جيرو: (يحدق في الفضاء): لقد سماني جيرو الطاهر النقي، بطل الحملة المسيحية المفوه. (يصمت، ثم يصرف شومة بإشارة ملكية) يمكنك الذهاب يا أخ شومة.

شومة: في حفظ الله يا أخ جيرو ... النقي.

جيرو: في حفظ الله يا أخي. (يتحسس قبعته المخملية بحزن)

تخفت الأضواء

المشهد الرابع

أمام بيت العراف، كما في المشهد الثاني، في وقت لاحق من اليوم نفسه.

شومة يمسح آخر ما تبقى على طبقه من فتات البطاطا الحلوة، فيما أموبة تراقبه.

أموبة: لا يمكنك أن تنكر أنني أفعل ما في استطاعتي. وحتى حين يجبرني الدائنون على مغادرة بيتي يبقى في استطاعتي أن أعد لك وجبة من الطعام.

شومة: (يمص أصابعه وينزل الطبق على الأرض): وجبة جيدة أيضا.

أموبة: أنا أقوم بواجبي كعهدي دائما، وقد طهوت لك وجبة من الطعام. ولكن حين أطلب منك أن تأتيني ببعض الماء النظيف، تنسى ذلك.

شومة: لم أنس.

أموبة: هذا ما تقوله دائما. أين الماء إذن؟ لعل الأواني قد سقطت عن دراجتك على الطريق وانكسرت.

شومة: هذا كذب أطفال يا أموبة. أنت تحدثين رجلا.

أموبة: ما أروعك من رجل لا يستطيع أن يتذكر حتى أبسط الأشياء كوعاء الماء مثلا.

شـــومـــة: لقد تذكرت، ولكنني لم أحضره معي، هذا هو كل ما في الأمر. والآن احزمي متاعك لأننا عائدون إلى المنزل.

(تحدق فيه أموبة غير مصدقة).

أمـــوبـة: احزمي متاعك، لقد سمعتِ ما قلته.

شـــومـــة: (بتمعن): لقد فكرت أنك رجعت في وقت مبكر قليلا. وهذا لأنك لم تذهب إلى العمل، بل كنت تشرب كل النهار.

شـــومـــة: فكري بما يحلو لك. أنت تعلمين أنني لا أمس الخمر.

أمـــوبـة: مكره أخاك لا بطل. أنت لا تشرب لأنك لا تستطيع أن تدفع ثمن الخمر، وهذا هو السبب الوحيد لامتناعك عن الشرب.

شـــومـــة: أسرعي، لدي عمل معين علي أن أقوم به حين أعود إلى المنزل، ولا أريدك أن تؤخريني.

أمـــوبـة: اذهب إذا شئت. أما أنا فلن أتزحزح من هنا حتى أحصل على نقودي.

(يهب شومة واقفا، ويبدأ بإلقاء حاجياتها في الكيس.

يدخل الأخ جيرو، ثم يختبئ ويراقبهما).

أمـــوبـة: (بهدوء): آمل أن أجد لديك حبالا تربطني بها على الدراجة، لأنني لا أنوي مغادرة هذا المكان إلا محمولة. جنيه وثمانية

شلنات ليست لعب أطفال. وهي نقودي وليست نقودك.

(لقد انتهى شومة من صر الكيس وهو الآن يربطه على حامل الدراجة).

أموبة: أنت تعلم أن راتب الحاجب ليس شيئا يذكر، هذا إذا نسيت أنك لا تتقاضى راتب وزير. ولهذا فالأفضل لك أن تراجع نفسك قبل أن تطلب مني أن أترك مالي الذي حصلته بعرق جبيني في يد هذا الصعلوك.

تصور، في هذا الصباح بالذات، وبينما كنت جالسة هنا، جاء مفتش الصحة ونظر إلي من قمة رأسي إلى أخمص قدمي، ودوّن بعض الملاحظات في دفتره، ثم قال، أظنك تدركين أيتها المرأة أن هذا المكان يدخل ضمن مشروع إزالة المساكن المخالفة، ووجه كلامه لي كأنني أعيش هنا، أما أنت فتقعد وتترك زوجتك معرضة لمثل هذه الإهانات. كما أن مفتش الصحة لديه دراجة نارية، وهي أفضل من الدراجة العادية.

شومة: الأفضل لك أن تجهزي في الحال.

أموبة: ووظيفة مفتش الصحة أفضل على كل حال، حيث يمكن للمرء أن يصير شخصا له قيمة. هذا ما يفعله الجميع، قليل من هنا وقليل من هناك.

سمها رشوة إن شئت، ولكن ها أنت ترى ما صارت إليه حالك، على رغم أنك لا تشرب ولا تدخن ولا ترتشي. المفتش لديه دراجة نارية... وعلى أي حال، من يريد أن يقدم الكولا لحاجب أول؟

شومة: أغلقي فمك أيتها الثرثارة!

أموبة: (مشدوهة): ماذا قلت؟

شومة: قلت أغلقي فمك أيتها الثرثارة.

أموبة: لي أنا؟

شومة: أغلقي فمك وإلا أغلقته لك (يشد الحصيرة على قضيب الدراجة العرضي)، والأفضل لك أن تلزمي حدودك من الآن فصاعدا. لقد انتهى زمن الصبر بعد أن رفع العراف صليبي عن كتفي.

أموبة: (بألم حقيقي): إنه مجنون.

شومة: (يربط الحصيرة بطريقة تنذر بالشر): لقد انتهي زمن المحنة بالنسبة إليَّ. (يخنق الحصيرة خنقا)، وإذا تجرأت الآن على فتح فمك... (يلوي السلك مرة إضافية).

أموبة: رحماك يا رب! لقد جن الرجل.

شومة: (بلهجة آمرة): اركبي على الدراجة.

أموبة: (متراجعة): لن أركب معك.

شومة: قلت لك اركبي على الدراجة.

أموبة: ليس معك. سأعود وحدي إلى البيت.

(يتقدم شومة نحوها فتصرخ طلبا للنجدة،

فيرسم جيرو علامة الصليب. يمسكها شومة من يدها إلا أنها تفر منه وتركض نحو جانب المنزل وتدق على الباب).

أمـــوبـة: النجدة! افتح الباب بحق الله. دعني أدخل. دعني أدخل.

(يقطب الأخ جيرو)

هل من أحد في الداخل؟ دعني أدخل بحق الله. دعني أدخل وإلا عاقبك الله.

جـــيـــرو: (يسد أذنيه بأصابعه): كفر!

أمـــوبـة: أيها العراف. أين العراف؟

(يرفعها شومة بكامل ثقلها)

أمـــوبـة: دعني أدخل. إلي بالشرطة. إلي بالشرطة.

شـــومـــة: (ينزلها): إذا تجرأت على الصراخ ثانية فسوف... (يرفع قبضته الكبيرة)

(يشهق الأخ جيرو متظاهرا بالخوف ويبدي أسفه بصوت مسموع، ويغطي عينيه بيديه ثم يغادر المكان).

أمـــوبـة: أنت مجنون... مجنون.

شـــومـــة: اركبي الدراجة.

أمـــوبـة: اقتلني. اقتلني.

شـــومـــة: إياك وإغرائي يا امرأة.

أمـــوبـة: لن أركب هذا الشيء ما لم تقتلني أولا.

شـــومـــة: يا لهذه المرأة.

(يصل اثنان أو ثلاثة من الجيران إلا أنهم يبقون بعيدا احتراما للموقف).

أموبة: اقتلني. عليك أن تقتلني. فليأت الجميع ويشهدوا. هذا الرجل سيقتلني فاشهدوا. إني أسامح كل من استدان مني، وخصوصا العراف الذي ورطني في كل هذه المشاكل. يا أخ جيروبم، آمل أن تصلي من أجل روحي في السماء.

شومة: ليس لك روح أيتها الآثمة.

أموبة: يا أخ جيروبم، العن لي هذا الرجل. لك أن تحتفظ بالخلعة المخملية إذا لعنت هذا الأحمق. أعفيك من دَينك. هيا أيها الأحمق، اقتلني. إن لم تقتلني لن تنجح في شيء في كل حياتك.

شومة: (فجأة): اخرسي.

أموبة: (يتزايد حماسها إذ يتوافد المزيد من الناس): اشهدوا جميعا، أخبروا العراف أنني أعفيته من دينه شرط أن يدعو على هذا الأحمق بأن يذهب إلى جهنم. هيا اقتلني.

شومة: (الذي أشاح بوجهه عنها وقد قطب جبينه): ألا يمكنك أن تسكتي يا امرأة.

أموبة: لا. يجب أن تقتلني.

(يثرثر الجميع في ضوضاء لا تتقطع، وهم خائفون كالعادة من فكرة التدخل في شجار بين رجل وزوجته، غير أنهم يعبرون عن قلقهم بفتور).

«ما الأمر، ها؟». «الزم الصمت أنت وهي». «أتظن أننا يجب أن نرسل وراء العراف؟». «يا لهن من مزعجات هؤلاء النساء». «فليذهب أحد ويستدعِ الأخ جيرو».

شومة: (يرفع رأسَ أموبة التي أغلقت عينيها بإحكام كعادة المرأة التي تمثل دور الضحية، واستمرت تضرب بقبضتيها على عتبة باب العراف): اخرسي وأنصتي. هل سمعتك تقولين العراف؟

أموبة: راقبوه. اشهدوا، سوف يقتلني.

شومة: لن أمسّك إلا إذا لم تجيبي عن سؤالي.

أموبة: اقتلني. اقتلني.

شومة: يا امرأة. هل قلتِ إن من استدان منك نقودا هو العراف؟

أموبة: اقتلني.

شومة: هل هذا هو بيته؟ (يهز رأسها)، هل يعيش هنا؟

أموبة: اقتلني. اقتلني.

شومة: (يبعدها عنه باشمئزاز ويستدير نحو الجمع، فيتراجعون بشكل غريزي): هل الأخ جيروبم...؟

أقرب شخص إليه: (بعجلة): لا، لا. لست الأخ جيرو. ليس أنا.

شومة: من قال إنه أنت؟ هل يعيش العراف هنا؟

الرجل نفسه: نعم هناك في هذا المنزل.

شـــومــــة: (يدور حــول نفـســه، ثم يقف جــامــدا دون حــراك ويـحـدق في المنزل فـتــرة لا بأس بهــا): هكذا إذن... هكذا إذن.

(يقف الجميع حائرين للتغيـر الذي أصاب حــالتــه، وحــتى أمــوبة تنظر إلـى الأعلى بتـسـاؤل. يمشي شـومـة باتجـاه دراجتـه وهو يهمهم لنفسه).

هكذا إذن... فجأة يقـرر السماح لي بضـرب زوجتي، ها؟

من أجل مصلحته. من أجل مصلحته.

(ينزل الصـرة عن حامل الدراجـة ويلقي بها على الأرض دون اكتـراث، كما يفك الحـصيـرة أيضا).

أحد الواقفين: ماذا تراه يفعل الآن؟

شـــومــــة: (يركب دراجتـه): ابقي هـنـا ولا تتـحـركي. إذا لم أجدك هنا حين أعود...

(يقود دراجته إلى الخـارج، بينما يحدق فيه الجميع في ذهول).

أمــــــوبـة: إنه مـجنون تماما. لم أره يتصـرف على هذا النحو من قبل.

أحد الواقفين: هل أنت واثقة؟

أمــــــوبـة: هل أنا واثقة؟ أنا زوجته، فأنا خير من يعلم، أليس كذلك؟

واحـــــدة من الـواقـــفـين: إذن عليك أن تدعي العـراف يعـتني به. لقـد كان لي فيما مضى أخ كانت تصيبه نوبات صرع ويخـرج الـزبد من فـمـه في كل أسـبـوعين. إلا أن العـراف شـفاه وأخـرج الشـيـاطين منه، أقول لك الحق.

أمــــــــوبـة: هذا لا يسـتطيـع أن يفـعل شـيـئـا. إنه مـدين لي، وكل ما يعرفه هو كيف يتهرب من دائنيه.

(تباشر فك صرتها)

تخفت الأضواء

المشهد الخامس

الشاطئ قرب الغروب.

أسفل الخشبة، يمينا، يقف باستقامة رجل يرتدي قبعة وبذلة رسمية متقنة ذات ذيل طويل، وبيده رزمة من الأوراق. من الواضح أنه يلقي خطابا، إلا أننا لا نسمعه، لا شك أنه خطاب ناري. يقف الأخ جيرو باستقامة تامة كعادته، وهو يمعن النظر فيه بتعاطف وترفع.

جيرو: باستطاعتي تعليمه بعض أسرار الخطابة، إنه عضو في المجلس الاتحادي، عضو بلا حقيبة، إلا أن عينه على منصب وزاري، يأتي هنا كل يوم ليتمرن على الخطب، إلا أنه لا يلقيها، إذ يمنعه الخوف

(صمت. يواصل العراف تفحص العضو)

يا للمسكين (يضحك بصوت خفيض ويحول نظره عنه) أوهو! لقد كدت أنسى الأخ شومة. لا بد أنه الآن قد أوسع زوجته ضربا، وهذا يعني للأسف أنني خسرته، فقد اكتفى ولم يعد بحاجة إليّ، صحيح أنه لا يزال يريد أن يصبح موظفا كبيرا، إلا أنني خسرته كواحد من أشد الأتباع اعتمادا علي... لا بأس، على كل حال فقد كان

ثمنا جيدا مقابل التخلص من دائنتي...

(يعود إلى العضو)

أما هذا... فهو واحد من رعيتي بالفعل، إنه لا يعرف ذلك بالطبع، غير أنه أحد الأتباع. وكل ما أحتاجه هو أن أطلبه، أن أدعوه وأقول له، عزيزي عضو البرلمان، منصبك بانتظارك... أم أنك تشك في ذلك؟ راقبوني وأنا أعمل على استمالته.

(يرفع صوته) يا أخي في المسيحية!

(يتوقف العضو وينظر حواليه ثم يواصل خطابه)

يا أخي العزيز، ألا أعرفك؟

(يتوقف العضو وينظر حواليه ثانية)

نعم أنت، بالله عليك ألا أعرفك؟

(يتقدم العضو ببطء)

تماما. أنت الرجل بعينه، وقد أتيتَ كما قالت النبوءة. لعلك تذكرني.

(ينظر العضو إليه باحتقار)

إذن لست من معشر الله. لقد التقينا في عالم آخر، وفي جسد آخر، وكانت رسالتي لك...

(يدير له العضو ظهره بتبرم)

العضو (بكثير من الخيلاء): اذهب وجرب حيلك على غيري من السذج.

جيرو: (بلطف فائق، وهو يبتسم): الأمر واضح حقا. لست من معشر الله، إلا أن حكمة الرب

الخافية علينا قد قضت بأن يخصك بنعمته...
أيها الوزير... يا وزيرا بفضل الله...

(يقف العضو كأن على رأسه الطير)

نعم يا أخي، لقد التقينا. لقد رأيت هذه البلاد غارقة في الفتنة، ورأيت حشدا من الرجال اجتمعوا لتحقيق السلام بالقوة. وفي غرفة كبيرة مذهبة، رأيت عظماء هذه الأرض جالسين إلى مكاتبهم ينتظرون قرارك، ومبعوثي أمم أجنبية واقفين بانتظار كلمة منك، وعلى الباب المفضي إلى مكتبك قرأت الكلمات: وزير الدفاع...

(يستدير العضو ببطء)

... إنه مركز من مراكز القوة، ولكن هل أنت من معشر الله؟ بل هل أنت جدير بالمنصب؟ هل علي حين أنظر إلى روحك كما أمرني الرب، أن أدعو بأن يرفع الرداء عن كتفيك ويضعه على رجل أكثر تقوى منك؟

(يتقدم العضو دون وعي منه، فيشير إليه العراف بأن يبقى حيث هو)

يتحدث ببطء

نعم... أظنني رأيت إبليس في عينيك. أراه وقد تمكن منك (ينتاب الخوف العضو فيرفع يديه في شبه تضرع)

سيكون لوزير الدفاع أقوى المناصب في البلاد، والرب خير من يعلم، وعلى الإنسان أن يتدخل عند اللزوم، إن بوسعنا أن نصل إليه بالصلاة والصيام... وبوسعنا أن نزكي البعض لديه... يا أخي، هل أنت من معشر الله، أم أنك من أعدائه؟

(يتلاشى صوت جيروبم بالتدريج ويخفت الضوء المسلط عليه، فيما يسمع صوت آخر، هو صوت شومة، وذلك قبل أن نرى صاحبه بفترة طويلة.

يدخل شومة من أسفل الخشبة من الجهة اليسرى وهو يحدث نفسه بكثير من الاضطراب).

شومة: لِمَ؟... لماذا، لماذا، لماذا، لماذا يفعل بي هذا؟ لعامين لا يتركني أضرب المرأة. لماذا؟ الله لا يحب هذا. هذا لن يخدعني بعد الآن. ما هو رجل الله. يقول ينام على الشاطئ في المطر والبرد. ولكنه كذاب كبير، الرجل عنده بيت وينام فيه كل ليلة، ولكنه مرتاح في منزله، فلماذا لا يريحني في منزلي؟ ماذا فعلت له؟

ولكن كيف التقيا؟ أين؟ متى؟ متى عرف زوجتي؟ لماذا يحميها مني؟ يمكن لأن زوجتي تعطيه لحما، وهو يعدها بأن يقول لزوجها لا

تضـربهـا. آهـا! تعطيه ثيـابا، تعـطيـه أكـلا. وكل الضـرورات والحـاجـات، وفـي المقـابل لا يتـرك زوجها يضربها... إم م م م ...

(يهز رأسه)

لا، غـيـر ممكن. لا أصـدق ذلـك. إذن هكذا، كيف يتشـاجـران؟ لماذا تقـعـد أمـام البيت وتريد النقود. لم أكن أضربها بعد...

(يهز رأسه)

لطفك يا رب! يا أحـمق يا شـومـة. يا إلهي، لقـد دُمـرت حـيـاتي. يا إلـهي، ليس في عـيـني رأس. إنها كذبـة، كذبة كبيرة. إنه غش. غشتني هذه الشـريرة. لا تريد أن تجـمع شيـئـا، ولا تنام خـارج البـيت، العـراف عـشـيـقـهـا، وعندمـا يجـيء الليـل تدخل هنـاك وتلتـقـي الرجل. يا الله، لماذا تزعجني هكذا؟ هل أغضبتك؟ شومـة يا أحمق، لقـد دُمرت حياتك. نعم، نعم... آه آه، نعم. لقـد هدموا شومة في كل حياته... نعم... نعم...

(يخرج، وتتلاشى صيحاته خارج الخشبة. في أعلى الخشـبـة، يسلط الضـوء ببطء على جيـرو، ويرى العضو الآن راكعـا عند قدمي الأخ جيـرو، وقد أغلق قبضته ورفع عينيه إلى السماء).

جـيــــرو: (يزداد صـوتـه ارتفـاعـا): احـفظه يا رب. احفظه حين يتولى قيادة هذه الأمة على خطى

سيكون لوزير الدفاع أقوى المناصب في البلاد، والرب خير من يعلم، وعلى الإنسان أن يتدخل عند اللزوم، إن بوسعنا أن نصل إليه بالصلاة والصيام... وبوسعنا أن نزكي البعض لديه... يا أخي، هل أنت من معشر الله، أم أنك من أعدائه؟

(يتلاشى صوت جيروبم بالتدريج ويخفت الضوء المسلط عليه، فيما يسمع صوت آخر، هو صوت شومة، وذلك قبل أن نرى صاحبه بفترة طويلة.

يدخل شومة من أسفل الخشبة من الجهة اليسرى وهو يحدث نفسه بكثير من الاضطراب).

شومة: لِمَ؟... لماذا، لماذا، لماذا، لماذا يفعل بي هذا؟ لعامين لا يتركني أضرب المرأة. لماذا؟ الله لا يحب هذا. هذا لن يخدعني بعد الآن. ما هو رجل الله. يقول ينام على الشاطئ في المطر والبرد. ولكنه كذاب كبير، الرجل عنده بيت وينام فيه كل ليلة، ولكنه مرتاح في منزله، فلماذا لا يريحني في منزلي؟ ماذا فعلت له؟

ولكن كيف التقيا؟ أين؟ متى؟ متى عرف زوجتي؟ لماذا يحميها مني؟ يمكن لأن زوجتي تعطيه لحما، وهو يعدها بأن يقول لزوجها لا

تضربها. آها! تعطيه ثيابا، تعطيه أكلا. وكل الضرورات والحاجات، وفي المقابل لا يترك زوجها يضربها... إم م م م ...

(يهز رأسه)

لا، غير ممكن. لا أصدق ذلك. إذن هكذا، كيف يتشاجران؟ لماذا تقعد أمام البيت وتريد النقود. لم أكن أضربها بعد...

(يهز رأسه)

لطفك يا رب! يا أحمق يا شومة. يا إلهي، لقد دُمرت حياتي. يا إلهي، ليس في عيني رأس. إنها كذبة، كذبة كبيرة. إنه غش. غشتني هذه الشريرة. لا تريد أن تجمع شيئا، ولا تنام خارج البيت، العراف عشيقها، وعندما يجيء الليل تدخل هناك وتلتقي الرجل. يا الله، لماذا تزعجني هكذا؟ هل أغضبتك؟ شومة يا أحمق، لقد دُمرت حياتك. نعم، نعم... آه آه، نعم. لقد هدموا شومة في كل حياته... نعم... نعم...

(يخرج، وتتلاشى صيحاته خارج الخشبة. في أعلى الخشبة، يسلط الضوء ببطء على جيرو، ويرى العضو الآن راكعا عند قدمي الأخ جيرو، وقد أغلق قبضتيه ورفع عينيه إلى السماء).

جيرو: (يزداد صوته ارتفاعا): احفظه يا رب. احفظه حين يتولى قيادة هذه الأمة على خطى

أجداده العظام. فهو يتحدر من محاربي هذه الأرض البواسل، إلا أنه بسذاجته لم يكن عالما بميراثه، ولكنك عالم بكل شيء، مدبر لكل شيء. لا بداية لك ولا نهاية...

(يقتحم شومة المكان وبيده سيف يلوح به)

شومة: أيها الزاني! يا حرامي النساء! نهايتك اليوم على يدي

(ينظر جيرو حواليه)

جيرو: اللهم احفظنا (يفر هاربا).

عضو برلمان: (غير واع بما يجري): آمين.

(شومة يلاحق جيرو إلى خارج الخشبة، وقد صمم على قتله)

عضو برلمان: آمين. آمين (يفتح عينيه) شكرا أيها العرا... (ينظر يمينا ويسارا، أماما وخلفا، فيجد أن العراف في الحقيقة قد اختفى) أيها العراف. (يستدير بحدة وسرعة في كل الاتجاهات، صائحا) أيها العراف، أين أنت؟ أين ذهبت؟ أيها العراف! لا تتركني أيها العراف، لا تتركني.

(ينظر إلى الأعلى ببطء وخشوع)

لقد اختفى ولقد عرفت ذلك، عرفت أنني كنت واقفا بين يدي قوة خفية...

(يحني رأسه وهو واقف. يدخل جيروبم وهو متمالك لنفسه تماما ويشير إلى تابعه الجديد).

جيروبم: لقد سمعتموه، سمعتموه بآذانكم. وبحلول الغد ستتحدث البلدة كلها عن معجزة اختفاء الأخ جيروبم. ومن يؤكدها ويشهد عليها؟ واحد من حكام هذا البلد المنتخبين...

عضو برلمان: (يتوجه ليجلس على الكومة): علي أن أنتظر عودته. إذا أبديت إيماني فسوف يظهر لي مرة أخرى... (ما أن يهم بالجلوس حتى يهب واقفا) هذه أرض مقدسة (يخلع حذاءه ويجلس. ينهض ثانية) لا بد أن أسمع منه المزيد. لعله ذهب ليعلم المزيد عن هذا المنصب الوزاري... (يجلس).

جيروبم: لقد أرسلت في طلب الشرطة وانتهى الأمر. يؤسفني ما سيحدث لشومة، إلا أنه أخافني، والعراف لا يحب أن يخيفه أحد. وباستخدام نفوذ هذا الأبله سوف أتمكن بسهولة من استصدار شهادة تثبت أنه مجنون. ستنفعه سنة في مستشفى الأمراض العقلية على كل حال.

(العضو يهوّم من النعاس)

جيد... إنه يستسلم للنوم. وحين أظهر له ثانية فسوف يظن أنني هبطت من السماء، وعندها فسوف أخبره أن إبليس قد أرسل واحدا من أعوانه إلى العالم تحت اسم شومة،

وأن من الأفضل له أن يضعه في قميص المجانين في الحال... وهكذا أنجو بجلدي وسيأتيني رجال الشرطة حالما يلقون القبض على شومة. وإذن يبدو أنه لم يحن الوقت بعد لتتحقق نبوءة ذلك الحاقد.

(يلتقط حصاة ويلقيها على العضو. وفي الوقت نفسه تتراقص على رأسه حلقة ذات لون أحمر أو لون فاقع آخر، مشكلة ما يشبه الهالة. يفيق العضو مجفلا ويحدق فاغرا فاه، ثم يخر منبطحا على وجهه، هامسا وهو مستغرق في خشوع تام).

«سيدي»

عتمة النهاية

هوامش محنة الأخ جيرو

١ قضيب معدني مستدق الطرف، يبلغ طوله حوالي ١٨ إنشا، طرفه الثخين مثني على شكل حلقة.

٢ جماعة دينية أُسست في نيويورك في عام ١٨٧٢، تؤمن بفساد كل الأنظمة الدنيوية، وتتنبأ بقدوم حكم إلهي مطلق في مملكة الله التي ستؤسس بعد عودة المسيح ونهاية العالم.

٣ نوع من أنواع الموسيقى الشعبية التي انتشرت في غرب أفريقيا ونيجيريا في الستينيات، وتأثرت بالموسيقى الشعبية الغربية، الروك والبوب، والموسيقى الأفريقية المحلية.

٤ السرافيم والكرابيم من طبقات الملائكة في الكتاب المقدس.

٥ الأوفالتين هو مسحوق يتكون أساسا من الكاكاو، ويمزج عادة مع الماء الساخن ليشكل شرابا يشبه الشوكولا الساخنة.

٦ عشتار (أو عَشتورَت في لفظ العهد القديم) هي آلهة فينيقية قديمة. وتروي التوراة أن الرب (إله إسرائيل) مزق مملكة سليمان «لأنهم تركوني وسجدوا لعشتورت إلهة الصيدونيين» (ملوك١: ١١: ٢٣). كما أن بعل أيضا من الآلهة السامية القديمة، وتروي التوراة أن بني إسرائيل تحولوا إلى عبادته أكثر من مرة.

٧ كانت إيزابل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين، وعندما تزوجها أخاب بن عمري، ملك إسرائيل، أقام معبدا لبعل وعبده وسجد له (ملوك١: ١٦: ٢٩ - ٣٣).

(٢) تحوُّل الأخ جيرو

المشهد الأول

الشخصيات

الأخ جيرو

الأخت ريبيكا

أنانايس

المسؤول الإداري الرئيسي

كاتب المجلس السياحي

شومة

الرائد سيلفا

شادرش

كالب

إيساك

ماثيو

شرطية

وغيرهم من عرافي الشاطئ

مكتب الأخ جيرو، الذي لم يعد نفسه الكوخ الذي مزقته المشاكل في «محنة الأخ جيرو». فهو الآن يتكون من غرفة متواضعة مبيضة ومريحة تماما. ثمة خزانة صغيرة موضوعة بعناية في زاوية الغرفة، وكذلك منضدة مغطاة بقطعة قماش وعليها آلة كتابة عتيقة ومتداعية تعود إلى أقدم طراز يمكن تخيله، إلا أنها لا تزال تعمل.آنية أزهار، والتشكيلة المعهودة من معدات المهنة: الإنجيل، وكتاب الصلاة، ورداء القداس... إلخ. على الحائط صورة ذات إطار كبير تمثل شخصا في لباس عسكري وأمامه حشد من الميكروفونات، مما يدل على أن أبرشية جيرو لم يعد يحكمها أصدقاؤه القدامى من الساسة المدنيين.

يملي جيرو ما يقوله وهو يتمشى في أرجاء الغرفة، بينما يبدو واضحا أن تفكيره مركز في هذه الصورة. هناك فتاة رزينة، وجذابة تماما، جالسة إلى طاولة تتلقى ما يمليه عليها.

جيرو: ... وخليق بنا في وقت الشدة أن نتداعى لننسى عداواتنا القديمة، ونغمد سيوفنا في صدر عدو مشترك... لا، الأفضل حذف هذه العبارة، فهي تبدو غير مسيحية إلى حد ما، أليس كذلك؟

ريبيكا: (صوتها وأسلوب كلامها ينمان عن إعجاب لا حد له): هذا ما لم يكن لك رأي آخر يا أخ جيرو.

جيرو: في الواقع، لا بد من الحرص في التعامل مع إخواننا العرافين، فبعضهم قد يفهم العبارة بشكل حرفي. يكفي مظهر بعضهم، ناهيك عن ماضيهم السري، بل وحاضرهم السري... آه. حسنا، توقفي عند «نغمد سيوفنا».

ريبيكا: الرأي رأيك أخ جيرو.

جيرو: لا أقصد أن هذا سيثير أسفي، إذ لن يضيرنا أن ينتقل بعض أحبائنا الأعزاء من العرافين على هذا الشاطئ إلى دار الخلد. وإذا ما اختاروا حبل المشنقة طريقا لهم، أو فضلوا اختصار طريقهم إلى السماء بمواجهة كتيبة الإعدام في استعراض باربيتش (Bar Beach Show)[1]، فمن نحن لنعارض هذا الحل الإلهي؟ المشكلة الوحيدة أن هذا قد يسيء إلى سمعة الباقين منا.

ريبيكا: لا شيء يمكن أن يسيء إلى سمعتك يا أخ جيرو، أنت غير الآخرين. لا شيء يمكن أن يشوه صورتك، أنا أعرف هذا.

جيرو: أنت لطيفة حقا يا أخت ريبيكا، لا أدري ماذا كنت سأفعل من غيرك.

ريبيكا: لن تكون من دوني أبدا يا أخ جيرو، سأبقى هنا ما دمت بحاجة إليَّ.

جيرو: (هذا الاحتمال يقلقه): أشكرك يا أختاه. والآن علينا العودة للعمل، اقرئي آخر ما أمليته عليك.

ريبيكا: ... وخليق بنا في وقت الشدة أن نتداعى لننسى عداواتنا القديمة ونغمد سيوفنا في صدر... لا، لقد توقفنا عند «عداواتنا».

جيرو: جيد. ولذلك فقد قررت استدعاءكم... لا، «دعوتكم» أفضل، أليس كذلك؟ فكلما ازدادوا بؤسا وجدتهم أشد كبرياء وحساسية. فالكبرياء يا أخت ريبيكا، وحش يفترس الغوغاء. فما أن يظهر ثقب في رداء الفقير حتى تسده رقعة الكبرياء. شأن الطبيعة في شدة مقتها للفراغ.

ريبيكا: أوه يا أخ جيرو! ما أروع ما تنطق بالحكمة.

جيرو: ليست لدي إلا مواهب محدودة يا أخت ريبيكا، إلا أنني أستخدمها على أفضل وجه. نعم، فلتكن العبارة: بعد كثير من الصلاة طلبا للإرشاد، ألهمني الله أن أدعوكم جميعا إلى اجتماع نقف فيه متساوين أمام الله، ونتداول لإيجاد وسيلة لمواجهة التهديد الذي يحيق بمهنتنا. وكلي ثقة أنه في سبيل مصلحتنا

المشتركة. ضعي خطا سميكا تحت هذه العبارة.
أنه في سبيل مصلحتنا المشتركة، فإن جميع رعاة الرب الذين تقع مراعيهم على هذا الشاطئ، شاطئ رملي ولكنه صالح للزراعة، سيحرصون على حضور الاجتماع.

(يهز رأسه كأنما يجلو فكره، ثم يتجه إلى خزانة صغيرة ويخرج منها قنينة ويصب منها شرابا).

جيرو: الحقد مرير يا أخت ريبيكا، والعبء ثقيل علي.

ريبيكا: لا بد من فعل ذلك يا أخ جيرو، والغاية تبرر الوسيلة.

جيرو: كيف أتآخى مع هؤلاء القتلة ومروجي المخدرات، المهربين وتجار البضائع المسروقة؟

هل تعلمين أن بعضهم من أرباب السوابق؟ وبعضهم الآخر جاء دوره في استعراض «باربيتش» منذ زمن بعيد.

ريبيكا: وهذا ما يؤكد نبلك في تجاوزك لكبريائك واجتماعك معهم في خدمة الله.

جيرو: (يقدم لها كأسا): هل تشاركينني يا أخت ريبيكا؟

ريبيكا: لا يا أخ جيرو، ولكن يجب أن تشرب أنت.

جيرو: هل أنت واثقة أنه لا خطأ في هذا؟

ريبيكا: كل الأشياء نعمة من الله ولا خطأ في استخدامها بتعقل.

جيرو: أنت مصدر راحة كبيرة لي يا أخت ريبيكا، فالوقت وقت محنة بالفعل. صدقيني ليس هذا وقت أنصاف الحلول.

ريبيكا: يا أخ جيرو، لقد وعدت.

جيرو: آه، لم أقصد هذا النوع من أنصاف الحلول (يلقي بكأس الشراب).

ريبيكا: اعذرني، أنا.

جيرو: خطأ طبيعي، لا، لقد كنت أشير إلى مأزقنا الحالي. إذا ما أردنا النجاة، فنحن بحاجة إلى تكتيكات متكاملة.

ريبيكا: أعرف أنك ستجد مخرجا.

جيرو: يبدو لي أننا وقد رفعنا أنظارنا إلى السماء طلبا للعون، فقد تجاهلنا الإلهام المتاح لنا في هذه الدنيا. نعم، لقد تجاهلناه بالفعل.

ريبيكا: وهل في الدنيا ما تقدمه للمسيحي الحق يا أخ جيرو؟ لطالما قلت أنت نفسك.

جيرو: كان ذلك قبل أن أقرأ هذا الملف الثمين الذي جئتني به عربونا لمحبة المسيح، دوطة لا مثيل لها في تاريخ الزيجات الروحية يا أخت ريبيكا. وقبل...

(ينزل الصورة من على الجدار ويتفحصها وذراعه ممتدة إلى آخرها وهو يهز رأسه برضا).

أجل، أظننا تجاهلنا مصادر الإلهام الدنيوية.

ريبيكا: ولكن يا أخ جيرو.

جيرو: ثقي بي يا أخت ريبيكا.

ريبيكا: أنا أثق بك يا أخ جيرو. أنا أثق بك.

جيرو: صوت الشعب هو صوت الله، هل كنت تعرفين ذلك يا أختاه؟

ريبيكا: أنا أثق بك. وأتبعك حيثما تقودني يا أخ جيرو.

جيرو: وسأقودك إلى الأمان، أنت وكل من يضع ثقته بي.

ريبيكا: أرشدني يا أخ جيرو.

جيرو: (يعلق الصورة): وزعي هذه الدعوات في الحال، واذهبي إلى الترزي الذي أتعامل معه وأخبريه أن يسلم الطلبية اليوم. حين تأتي اللحظة المناسبة، سوف يتكشف كل شيء.

ريبيكا: أنا معك حتى النهاية.

جيرو: حين يسلم الخياط الطلبية، سوف تفهمين.

ريبيكا: (تنظر إلى ما دونته): أنت لم تحدد موعدا للاجتماع.

جيرو: الليلة يا أختاه، الساعة الثامنة. ليس لدينا وقت نضيعه.

(يتناول رداء القداس ويرتبه في طيات حول الرقبة، وكذلك العصا المقدسة والإنجيل... إلخ. ثم يتناول الملف ثانية ويفتحه عند إحدى الصفحات ويبتسم وهو يهز رأسه برضا، ويربت على الملف برقة).

جيرو: سلاحنا السري يا أخت ريبيكا، ويجب أن نحرص عليه.

ريبيكا: أنت خارج يا أخ جيرو؟

جيرو: لإعداد الترتيبات يا أختاه، الترتيبات. إذا كان من الواجب دخول هذه المعركة، فهناك حليف لا غنى لنا عنه. يجب أن أذهب للبحث عنه.

(يتوقف. ابتسامة طيبة)

غير أننا سنفوز يا أخت ريبيكا. لأن أفضل الحلفاء إلى جانبي. هنا في هذه الغرفة. (يهم بالخروج فيتردد، ويتجه نحو آنية الزهور ويرفعها إلى وجهه، ويتشممها بلطف وعيناه مغمضتان).

وأشكرك لأنك أنرت كوخي المتواضع بهذه الأزهار، تماما كما أضأت حياتي بمصباحك الروحي.

(يخرج في الحال، تاركا الأخت ريبيكا لمشاعر الخجل والبهجة والاضطراب والتشوش في آن واحد.

ما أن يصير في الخارج حتى ينسل حول جانب الكوخ ويراقبها من خلال النافذة. من الواضح أن حالة المرأة تثير غبطته، إذ إنه يصلح هندامه ويمضي بخطوات أكثر خفة. وعندها يواجه أحد زملائه، أنانايس، وهو عينة من القسم الأكثر فقرا من الإخوة العرافين إلا أنه ممتلئ الجسم كالبرميل).

أنانايس: ما الذي تفعله الآن يا جيرو؟ تتجسس على كوخك الصغير؟

جيرو: (يمسك أنانايس بيديه ويجره بعيدا عن المكان) إش.إش.إش.

أنانايس: أبعد يديك عني. (يتخلص منه بسهولة إلا أنه يلحق به) قل لي من عندك في الداخل، مندوبو المحكمة؟

جيرو: مندوبو المحكمة مثلهم مثل كل الخطاة يلقون الترحاب في كنيستي يا أخ أنانايس. إلا أنني لا أرحب بهم في مسكني المتواضع.

أنانايس: كفاك من هذا الهراء الروحي. أنا أعرفك.

جيرو: ماذا تعرف عني بالضبط ياأخي؟

أنانايس: هيا اعترف. إنهم مندوبو المحكمة، أليس كذلك؟

جيرو: مندوبو المحكمة لا يستطيعون حتى معرفة عنواني يا أنانايس.

أنـــانـــايـــس: هـذا لأنـك رجل ذكي. هـذا لا يـنكره عليك حتى أعدى أعدائك.

جـــيـــرو: هل تتفضل بالقول ماالذي جاء بك إلى هنا؟ أنا رجل مشغول.

أنـــانـــايـــس: حسنا إذن. جئت أقول لك إنك ستحتاج كل ما لديك من دهاء في القريب العاجل. لقد اتخذ مجلس المدينة قرارا نهائيا وسوف يطردنا من هذا المكان، جميعا حتى آخر واحد من أبناء الشيطان المنافقين.

جـــيـــرو: هذا خبر قديم يا أنانايس. وهو طبعا لا يشكل أي أهمية للبعض منا، فالرب يتولاهم. أما من ليس لديهم رسالة حقيقية...

أنـــانـــايـــس: مثلك.

جـــيـــرو: قلت رسالة. لا يمكنك أن تدرك ما يعنيه ذلك. الشاطئ بالنسبة إليك وسيلة لتحصيل الرزق لا غير.

أنـــانـــايـــس: وأنت من جانبك لم تقصر فيما ألاحظ.

جـــيـــرو: يقول الكتاب إن الله الكريم يعطي من يخدمه بإخلاص. ماذا ستفعل حين تستيقظ ذات صباح لتجد نفسك وجها لوجه أمام جرافة؟

أنـــانـــايـــس: (يشد عضلاته): فليحاولوا فقط. فليحاولوا.

جـــيـــرو: المصارعة شيء والجرافة شيء آخر. حتى أنت لا تستطيع مصارعة الجرافة. وعلى فكرة أنت لم تعد شابا.

أنــانــايــس: وهل أنا أبله؟ هناك رجل يقود هذه الوحوش الخرقاء، أليس كذلك؟ سأدع العربة وشأنها وأجره إلى الخارج من قفا رقبته، وحين أغمره في البحر عدة مرات سيخرج مسيحيا طيبا ويتعلم كيف يترك العرافين المباركين في حالهم.

جــيــرو: ليست هذه طريقة محاربتهم.

أنــانــايــس: ما هي الطريقة إذن؟ أن نقف متفرجين، وندعهم يخرجوننا من هذه الأرض، أرض الحليب والعسل؟ لقد كانت أحوالي على ما يرام قبل أن يختارني الله للدخول في خدمته. تركت كل ذلك مقابل هذا القفر اليباب، والآن لا أستطيع حتى اعتباره أرضي؟

جــيــرو: منذ لحظة كانت أرض الحليب والعسل.

أنــانــايــس: حليب وعسل من ثمار الروح طبعا، وما عدا ذلك فهو قفر يباب. انظر إليها بنفسك.

جــيــرو: العنف لن يفيدنا. سأعقد اجتماعا لمناقشة هذه المسائل، وسيعيننا الرب في إيجاد حل.

أنــانــايــس: تعقد اجتماعا؟ هناك شيء في جعبتك وإلا لما سعيت إلى عقد اجتماع. هيا اعترف، فلنكن شركاء، أنت وأنا.

جــيــرو: الليلة.

أنــانــايــس: الآن، وإلا ذهبت إلى الغرفة وأخبرت من فيها أنك كنت مختبئا تتجسس عليهم. سأصيح

وأخبرهم أنك في هذا المكان.

جـــيـــرو: هيا إذن، اذهب.

أنـــانـــايـــس: أنت تخدعني دون شك.

جـــيـــرو: إذن أتحـداك أن تكشـفني. وحين تنتـهي المعـركـة ونفـوز بحـقـوقنا فسـوف أطردك من الشاطئ دون أن يرف لي جفن.

أنـــانـــايـــس: لا تسـتطيع أن تفعل ذلك بي، فـأنا صـاحب حق في هذا المكان، مثلك تماما.

جـــيـــرو: لا، أنت لاحق لك.

أنـــانـــايـــس: لا تسـتطيع أن تفـعل هـذا، أنا رجل مبارك، مثلك.

جـــيـــرو: (باحتقـار): مصـارعـة. هل كنت تصـارع في سجون كيري كيري؟

أنـــانـــايـــس: (يغلق فم جيرو بيده ويتلفت حوله بهياج): يا لك من شـيطـان رجـيم، كـيف توصلت إلى معرفة ذلك؟

جـــيـــرو: أنا أعرف.

أنـــانـــايـــس: (فـجـأة): ومـاذا في ذلك؟ مـارست بعض اللصـوصـيـة قـبل أن يجـروني إلى السـجن، ولكنني اسـتقـمت منذ ذلك الحين. كنت أكسب رزقي بالمصـارعـة مقـابل التـبـرعـات باسـتـقـامـة وشـرف، ثم لبـيت نـداء الرب وعـرفت طريق التوبة، ما العيب في مذنب تائب؟!

جـــيـــــرو: مذنب تائب؟ (همهم). إذن لم يحدث أبدا أن عملت بلطجيا لرجل أعمال معين في الأسبوع الماضي بالذات، أليس كذلك؟ حرب تجارية حول احتكار تجارة الويسكي. ويسكي يا أنانايس؟ ويسكي؟

أنـانـايـس: (بكبرياء): أستميحك عذرا يا أخ جيرو؟ أنا لم أكن بلطجيا في أي فترة من حياتي. بل حارس شخصي، نعم. كنت حارسا شخصيا. وإذا كان هناك أي إنسان ينكر أنها مهنة محترمة ومعترف بها عالميا، فدعني أره. دعني أره فقط.

جـــيـــــرو: لا تزال لدى الشرطة بصمات الرجل الذي أشعل النار في متجر أحد المنافسين التجاريين، حيث راحت قناني الشرب تنفجر طوال الليل موقعة إصابات بين الأبرياء. وهذا المجرم الحقير الغبي الأخرق، هذا الجلف الضخم الجثة الفارغ العقل، ترك بصمة إبهام كبيرة على وعاء الكيروسين، ثم قذفه على كومة قاذورات قريبة منه. كما أنهم علموا أن هذه البصمة الضخمة القذرة تطابق بصمة إبهام سجين سابق معين. الشيء الوحيد الذي لا يعرفونه هو مكان اختبائه بعد جرائم الحريق والجرح المخالف للقانون والشروع في القتل.

أنانايس: (يبلع ريقه بصعوبة): يا أخ جيرو.

جيرو: حتى وعاء الكيروسين كان مسروقا من متجر مجاور، وهذا سطو. هل تستخدم العنف أيضا يا أخ أنانايس؟

أنانايس: أقسم بالله يا أخ جيرو.

جيرو: يعرف عنك أنك رجل عنيف، فيمكن لممثل الادعاء أن يجعلها سطوا بالإكراه، وأنت تعرف معنى ذلك.

أنانايس: أريد أن أقول يا أخ جيرو أنك تقسو على إنسان مثلي. أنت نفسك تعرف أن العمل راكد... وعلى الإنسان أن يأكل.

(يتركه جيرو يتلوى بعض الوقت)

جيرو: الليلة في الاجتماع سوف أتقدم بخطط معينة.

أنانايس: سوف أؤيدك يا أخ جيرو. اعتمد على صوتي في وقت. (يزداد حماسه) وإذا كان هناك من تريد أن تمرغ رأسه بالتراب لإثارته المشاكل.

جيرو: شكرا، لا أريد أساليبك العنيفة (يذهب) وابق بعيدا عن هذا المكان حتى موعد الاجتماع.

أنانايس: (يركض وراءه): يا أخي يا أخي.

جيرو: حسن؟

أنانايس: يا أخ جيرو، هل تقرضني شلنا أو شلنين حتى الاجتماع؟ أنت تعرف أنني ما كنت

لأسأل لولا ... أنت ترى الوضع بنفسك. لم تكن الأمور على ما يرام في الآونة الأخيرة، ليست هناك أي تبرعات إطلاقا. لقد تضاءل عدد المصلين إلى الصفر. وحتى من يجيئون لا تأتيني منهم إلا قصة مشاكلهم العائلية لم يعودوا يدفعون العشر.

جيرو: لقد كنت طماعا، يا أخ أنانايس. لو أن كل واحد من مائة مصل دفع عشرا في نهاية كل شهر فسرعان ما سوف يلاحظ أن عشرا من كل مصل يعني أضعاف ما يكسبه كل منهم بمفرده. وكل هذا لرجل واحد، هو أنت. ولذلك توقفوا عن المجيء.

أنانايس: هه؟

جيرو: نعم، هكذا خسرت رعيتك القلائل.

أنانايس: من مائة إلى الصفر.

جيرو: من مائة إلى الصفر، عدا من يأتون للاستدانة.

أنانايس: ولكن كيف حدث أن دخلت عقولهم هذه الفكرة؟ إنها ما كانت لتخطر لي على بال.

جيرو: (يناوله شلنا): ربما أدخلها شخص ما في عقولهم. طاب يومك يا أنانايس.

أنانايس: هه؟

(من الجانب المقابل، يظهر كبير المسؤولين التنفيذيين للجنة السياحية للمجلس البلدي

بهيئة شعثاء ومغبرة وهو يخرج من مكان اختبائه يتبعه كاتب اللجنة وشرطية. يختبئ أنانايس ويراقب).

الكاتب: هذا هو المكان يا سيدي.

المسؤول: (ينفض الغبار بفرشاة عن بذلته وقبعته السوداء المستديرة وهو غاضب، ويساعده الكاتب): لقد حان الوقت وسوف أتعامل بحزم معكم جميعا، أنتم من عرضني لهذه المغامرات المخزية. أقطع كل هذه المسافة ليس لأخسر ملفا سريا فحسب، بل وسكرتيرة مؤتمنة أيضا. لماذا يقع عبء استردادها على عاتقي أنا؟

الكاتب: هذه هي الطريقة الوحيدة يا سيدي.

المسؤول: لا تنس أن ما لا يتفق مع كرامة الإنسان، لن يكون هو الطريق الوحيد أبدا.

الكاتب: في سبيل تحقيق نتائج يا سيدي.

المسؤول: كف عن مجادلتي من فضلك. ليس من طبيعتي التواري والاختباء من أحد فما بالك بدجال. أنا أفضل أن أواجهه مباشرة، حتى لو كان الشيطان ذاته.

الكاتب: أرجوك يا سيدي فلندخل وننه عملنا. قد يعود في أي وقت.

المسؤول: أتخطط لأن أهرب من النافذة إذا عاد بشكل مفاجئ؟

الكاتب: لا شيء من هذا القبيل يا سيدي، لا شيء من هذا القبيل. كل ما أقوله أن الوقت من ذهب فهيا ندخل يا سيدي.

(يدق على الباب، إلا أن المسؤولَ التنفيذي يقتحم المكان وتبدو ريبيكا مجفلة لدخولهما.

يزحف أنانايس مقتربا، فيما تنتظر الشرطية قرب الباب).

المسؤول: هل هذه هي المرأة؟

الكاتب: نعم يا سيدي. آنسة دنتن، هذا المسؤول التنفيذي للجنة السياحية للمجلس البلدي.

الآنسة دنتن يا سيدي.

المسؤول: آنسة دنتن.

ريبيكا: اسمي ريبيكا.

المسؤول: لا أصدق أن أسماءنا تتوافق كأبناء للمعمودية.

ريبيكا: بل إنني لا أصدق أنك على أي وفاق مع المسيحية. إن روحك في خطر.

المسؤول: (يتميز غيظا ثم ينفجر): حالتي الدينية ليست من شأنك أيتها الشابة.

ريبيكا: بل إنها من شأني يا سيدي، فأنا حارسة لأخي(٢)، وحالة روحك تحزنني.

الكاتب: هكذا كانت البداية يا سيدي، هكذا كانت البداية.

المسؤول: بداية ماذا؟

الكاتب: هكذا أخذها العراف. فهو أصلا لم يكن يخاطبها على الإطلاق، بل كان يخاطب مسؤول الإخلاء الرئيسي الذي جاء يعطيه إنذارا. لقد أخذ يعظه دون انقطاع، إلا أنها هي التي تلقت الرسالة. بحق المسيح يا سيدي، ليتك رأيت التشنجات التي أصابتها.

المسؤول: ولماذا جاء بها أصلا بحق الجحيم؟

ريبيكا: جحيم بحق يا سيدي لقد كنت أعيش في جحيم دون أن أعرف ذلك، إلى أن جاء الأخ جيرو وأرشدني إلى طريق الله.

المسؤول: لم أكن أخاطبك يا امرأة.

الكاتب: لقد كانت سكرتيرته الخاصة.

المسؤول: أعلم أنها كانت سكرتيرته الخاصة.. لعنك الله.

ريبيكا: لا لن يلعنه الله يا سيدي، فالله رحيم.

المسؤول: ألا يستطيع أحد إسكات هذه المتدينة المهووسة؟ لقد سألت لماذا يأتي بها معه؟ هل تراني هنا مع سكرتيرتي الخاصة؟

ريبيكا: سأجيب أنا عن هذا السؤال. فحين يحصل الإنسان على الخلاص لا يعود خائفا من قول الحقيقة. لقد طلب مني رئيسي الحضور معه لتدوين ملاحظات، إلا أنني كنت أعلم في قرارة نفسي أنه يخطط لإغوائي.

المسؤول: ماذا! كيف تجرؤين على الافتراء على موظف

حكومي كبير من دائرتي، وفي حضوري؟ سوف آمر بإجراء تحقيق وأتهمك بالـ...

الكاتب: لا تفعل ذلك يا سيدي فهذه هي الحقيقة. لقد كانت عين المسؤول التنفيذي عليها منذ وقت طويل. لم يكن يتركها وشأنها في المكتب، ويجعلها تعمل وقتا إضافيا حتى لو لم يكن هناك عمل تقوم به، فقط ليحاول أن...

المسؤول: يكفي ذلك شكرا؛ لا أريد كل الصورة مرسومة بألوان فاقعة وقذرة.

الكاتب: نعم يا سيدي، أقصد لا ياسيدي.

ريبيكا: لا يحزنك أمر هذا الخاطئ المسكين، فأنا أصلي لخلاص روحه كل يوم.

المسؤول: ونحن نصلي من أجل أن تعودي إلى رشدك. وبداية ما عليك إلا تسليمي الملف الذي بحوزتك، واحمدي ربك أنني لن أتهمك بالاحتفاظ بملف رسمي بعد ساعات الدوام.

الكاتب: وملف سري، لا تنس ذلك يا سيدي، سري جدا.

المسؤول: صحيح تماما. الملف أيتها الشابة. وسوف نتغاضى عن الإساءة لأنك لست في كامل قواك العقلية.

ريبيكا: لم أكن أبدا أعقل مما أنا عليه الآن.

المسؤول: أتسمين ذلك تصرفا عاقلا؟ أنت، شابة ذكية وسكرتيرة مدربة تدريبا تاما.

الكاتب: ثمانون كلمة في الدقيقة يا سيدي ومائة وعشرون كلمة اختزال.

المسؤول: هل طلبت منك تقديم إحصائيات؟

الكاتب: عفوا يا سيدي، كنت أتحدث عن حجم الخسارة.

المسؤول: إنها خسارة شنيعة طبعا. ثمانون كلمة في الدقيقة ومائة وعشرون كلمة اختزال. لقد كان لديك من قوة الإرادة ما يكفي لمقاومة تلك التحرشات المقرفة من كبير مسؤولي الإخلاء، هذا الشبق الهائج. كما كنت تحظين بثقة جعلتك تكلفين بمهمة رسمية ذات أهمية قصوى لاقتصادنا القومي، وماذا يحدث: تسمحين لعراف كذاب أن يخدعك، دجال مكشوف.

ريبيكا: (بإشفاق): من يتحدث فيك هو الشيطان يا سيدي، الشيطان هو من يجعلك تصف الأخ جيرو بهذه الصفات السيئة.

المسؤول: إنه يستحق أكثر من صفة سيئة، إنه يستحق نهاية سيئة، وسوف يصل إليها يوما ما.

ريبيكا: قاوم الشيطان فيك يا سيدي، ودعنا نساعدك في مقاومته والانتصار عليه.

المسؤول: ألا ترين أن الشيطان هو جيروبم، عليك اللعنة؟ كل العرافين على هذا الشاطئ شياطين.

ريبيكا: الشيطان يسيطر عليك يا سيدي، أنا أراه.

المسؤول: لا بد من إخلائهم، فهم يقفون في طريق التقدم، ويزحمون الشاطئ ويمنعون الناس المحترمين من المجيء إليه والدفع مقابل تسلية أنفسهم، إنهم يحولون دون قيام صناعة سياحية كبيرة. أنت نفسك تعرفين كيف تضاعفت قيمة الأرض منذ أن بدأنا عمليات الإعدام العلني على الشاطئ.

ريبيكا: خاطئون عديمو الحياء يكسبون ثروتهم من بلايا الآخرين؟ هل ترضى بأن تجمع المال من الخطيئة والظلم؟ أوه ياسيدي، يجب أن تدع الأخ جيرو يحدثك عن الشر الماثل في مخططاتكم. فإن جمع المال من الخطيئة يجلب الخطيئة على سكان مدينتكم. لا سادوم ولا عامورة ستعانيان ما ستعانيه مدينتكم هذه حين يحيق بها غضب الله ويمحو أسوارها عن وجه الأرض.

المسؤول: أسكتها. أسكتها بحق الله.

ريبيكا: (بفرح مفاجئ): المجد للرب! هناك تغير قد بدأ فيك بالفعل. فأول ما جئت هنا دعوت الجحيم ولعنت أخاك في الإنسانية، أما الآن فأنت تدعو باسم الله. هاليلويا هاليلويا هاليلويا. تعال إلي، قال الرب.

نادني باسمي وسوف أجيبك. هاليلويا هاليلويا. ناده باسمه وسوف يلبي نداءك تعال إلي، قال الرب، تعال إلي. ابتعد عن الخطيئة وسوف أطعمك، ابتعد عن القذارة وسوف أطهرك.

(تتقدم من المسؤول التنفيذي ويداها مفتوحتان كأنما لتضمه، فيتراجع منسحبا في أرجاء الغرفة، ولكنها تلاحقه وحالة «الإلهام» لديها تتزايد).

تخلوا عن المخطط، قال الرب، تخلوا عن المخطط. ماذا تفيد كل ثروة الدنيا إذا خسر الإنسان روحه، ماذا تفيد سياراتكم وبيوتكم إذا كنتم ستحترقون في جهنم. أنقذ هذا الخاطئ يا رب، أنقذ روحه، أخمد الطمع في قلبه، أخمد الطمع.

(يحاول كبير المسؤولين الخروج من الباب، إلا أن أنانايس يخطو إلى الداخل ويسد الباب وهو يزعق: «هاليلويا»، فيرمي المسؤول نفسه عائدا إلى الغرفة ليقع مباشرة بين يدي ريبيكا التي تصرخ «هاليلويا» وتضمه ضمة لافكاك منها، فتسقط قبعته، وسرعان ما تفارقه مظلته.

يتراجع الكاتب إلى زاوية الغرفة حين يرى أنانايس، بينما تحاول الشرطية أن تتملص من أنانايس إلا أنه يلتقطها بيد واحدة ويحجزها هناك).

أنانايس: وهذه الخاطئة يارب، وهذه الخاطئة.

ريبيكا: هاليلويا.

أنانايس: من عملها في الخطيئة يارب، من عملها في الخطيئة.

ريبيكا: هاليلويا.

أنانايس: عمل الشرطة شرير يا يارب، عمل الشرطة شرير.

ريبيكا: هالي هالي هاليلويا (تواصل اللازمة)

أنانايس: أنقذ هذه الخاطئة يارب، أنقذ هذه الخاطئة. احمها من الرشوة يارب، احمها من الفساد، احمها من المظالم ما ظهر منها وما خفي، من ممارسات لا تذكر في سمعك. احمها من الطمع في الترقية والتعطش للشارات، ومن التلهف للثناء على أعمال تتجاوز حدود الواجب. احمها من التنغيص على الأبرياء وإزعاج من يغويهم الشيطان، ومن التدخل في شؤون الناس ودس أنفها في أعمالهم البريئة. أخرج أولا الخشبة من عينك[٣]، قال الرب.

ريبيكا: هاليلويا.

أنانايس: الخشبة أولا من عينك.

ريبيكا: هاليلويا.

أنانايس: الخشبة أولا من عينك، فمن يرمي أول حجر يقول الرب. من منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر، من منكم بلا خطيئة فليقم بأول اعتقال. لي النقمة أنا أجازي، يقول الرب، أنا أجازي. لي النقمة فلا تأخذ حقك بيدك. الحق أقول لك إن دخول جمل في ثقب إبرة أيسر من أن يدخل شرطي أو شرطية إلى ملكوت السماء. أحضرهم إلى ملكوت السماء يارب، أحضرهم إلى ملكوت السماء أنقذهم من كراهيتهم لإخوتهم في الإنسانية، من كراهيتهم للضعفاء المساكين الذين لا يبغون إلا البحث عن رزق يسير. آه، أحضرهم إلى ملكوت السماء يارب. رأسا إلى ملكوت السماء.

(لقد وصلت نشوة ريبيكا حدا أخذت معه ترتجف من قمة رأسها إلى أخمص قدميها. فجأة تفتح يديها موقعة نظارات المسؤول التنفيذي).

ريبيكا: إلى ملكوت السماء يا رب، إلى ملكوت السماء.

(يقتنص المسؤول التنفيذي حريته في الحال ويقذف بنفسه من خلال النافذة، ويهم

الكاتب بمساعدته في التقاط قبعته ومظلته من على الأرض، ولكنه يغير رأيه حين يتقدم أنانايس ويلحق برئيسه من خلال النافذة. في سعيه لالتقاط الغنيمة الملقاة على الأرض، يفلت أنانايس الشرطية التي تفر من خلال الباب. أما ريبيكا، الذاهلة تماما عن كل ما يجري، فتدور حول نفسها مرددة: «إلى ملكوت السماء».

يلتقط أنانايس المظلة والقبعة ثم ينظر في دولاب الكؤوس والأطباق ويضع في جيبه قطعة خبز يجدها هناك، ويتشمم القنينة ويزدرد محتوياتها. وحين لا يجد شيئا آخر يمكن التقاطه، يهز كتفيه ويهم بالخروج، إلا أنه يتوقف وينظر ثانية إلى ريبيكا التي لا تزال في حالة نشوة، ثم يتوجه إلى زاوية الغرفة ويرفع دلوا من الماء ويصبه على الأخت ريبيكا التي يوقفها البرد وهي ترتجف (يخرج أنانايس آخذا معه الدلو).

المشهد الثاني

(صورة تمثل الشخص ذا اللباس العسكري في وضعية مختلفة معلقة فوق شرفة البيت الذي يعيش شومة في غرف مؤجرة فيه. شومة يتمرن على بوق مجربا أنغام أغنية «ما أعظم يسوع من صديق»، بينما بذلة جيش الخلاص[٤] الخاصة به موضوعة على كرسي، وهي مكوية حديثا، ومنشاة إلى حد التيبس. يدخل الرائد سيلفا، وهو من جيش الخلاص أيضا).

الرائد سيلفا: (لهجته فصحى خالصة مع لكنة من أكسفورد): طاب يومك يا عريف شومي. يؤسفني أن أقول إن النقيب لم يتمكن من الحضور اليوم، إلا أنني سأبذل ما في مقدرتي المتواضعة لأنوب عنه.

(يشير إلى أوراق النوتة الموسيقية)

يسرني أن أراك تؤدي بعض الواجبات المنزلية.

(ينظر شومة إليه بمزيج من الشك والعداء)

شومة: كيف يمكن؟ أنت نفسك لا تعزف على البوق.

الرائد سيلفا: هذا صحيح في الواقع، إلا أنني أفهم الموسيقى وهذا في الحقيقة ما أنوي تعليمه. حسنا، هل نبدأ.

شـــومـــــة: أين النقيب ونستون؟

الرائد سيلفا: لقد قلت لك إنه لا يستطيع الحضور. والآن أخبرني من فضلك عن مدى التقدم الذي أحرزته مع النقيب حتى نرى ما يمكننا فعله.

شـــومـــــة: (باستياء واضح): من الأفضل أن يكون للإنسان معلم واحد، وقد أخذت أتعود على النقيب ونستون، وبعدها يأتي آخر، النقيب ونستون يفهم كيف يعلمني.

الرائد سيلفا: نعم، ولكن إذا أعطيتني فرصة ياشومي، أظن أنني قد أستطيع بعون الله أن أقوم مقام النقيب، ولو لدرس واحد. والآن...

شـــومـــــة: أظن أنني أستطيع الانتظار، بل ويمكنني أن أواصل التمرين وحدي.

الرائد سيلفا: هيا هيا يا شومي، تعرف أنه ليس لدينا اليوم بطوله، هيا لنبدأ بهذه المقطوعة ما رأيك؟ دعنا نسمعك تعزف هذه المقطوعة، هه. (يختار ورقة من الرزمة) وعندها أستطيع أن أكون فكرة على نحو ما، أليس كذلك؟ اعزفها مرة واحدة بالكامل.

شـــومـــــة: لا، لا أريدأن أعزف هذه المقطوعة.

الرائد سيلفا: أوه؟ حسنا. ماذا تريد أن تعزف؟ اختر غيرها، أي واحدة تعجبك. ما آخر الترانيم التي تمرنت عليها مع النقيب؟

شـــومـــة: لا أعرف. نحن نتمرن فقط.

الرائد سيلفا: حسنا، إذن اعزف لي آخر ما تمرنت عليه.

شـــومـــة: نحن نتمرن قطعة بعد قطعة... آآآ... واحدة هكذا، ولكن لا أتذكر اسمها.

الرائد سيلفا: حسنا، أسمعني بعض الفواصل الأولى، وسوف ننطلق منها. واضح؟

(يرفع شومة البوق إلى شفتيه والاستياء لا يزال ظاهرا عليه)

حسنا، بعد أربعة، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة.

(ينطلق شومة عازفا «ما أعظم يسوع من صديق»، ويصغي سيلفا ويعبر عن بعض الدهشة، ثم يهز كتفيه، ينتظر شومة حتى ينهي مقطعا).

ولكن هذه الموسيقى التي اخترتها لك. أظنك قلت إنك لا تريد أن تعزفها.

شـــومـــة: هه؟ غيرت فكري.

الرائد سيلفا: لا بأس. والآن يا شومي، فلنحاول هذه المرة أن نعزف ما هو مدون هنا. ثبتها على البوق من فضلك. اسمع، لا تستطيع أن تدخل إيقاعك الخاص إلى أناشيد الكنيسة، عليك أن تعزف ما هو مدون، لذا رجاء اقرأ النوتة واعزف.

شـــومـــة: ما حكيت أنا هذا؟ أحسن أن ننتظر النقيب ونستون. أنت لا تفهم كيف تعلمني.

الرائد سيلفا: هيا هيا، دعنا من هذه السخافة، هيا فلنحاول ثانية، المسألة كلها مسألة توقيت يا شومي، توقيت. تام تا را تا را تا تام.... تام... تام... تا راتا راتا تام... بدقة ووضوح.

وليس مثل موسيقى الجوجو أو موسيقى الهاي لايف [٥]، والآن هل نعاود المحاولة؟ والتزم النوتة هذه المرة.

(يناول الورقة لشومة الذي يثبتها على بوقه)

هل نحن جاهزون الآن؟ واحد، اثنان، ثلاثة... تام... تارا...

(يعزف شومة اللحن بالإيقاع الراقص نفسه فيوقفه سيلفا)

الرائد سيلفا: لا لا، التوقيت يا شومي، التوقيت... يا رب السماوات!

(يتوجه إلى شومة ويشير إلى النوتة)

أيها العريف، هل تقرأ الموسيقى دائما بالمقلوب؟

شومة: هه؟ (يأخذ شومة بتصحيح وضعية الورقة وقد بدا عليه الشعور بالذنب)

لا عجب... آآآ... هكذا أحسن.

الرائد سيلفا: (بشدة): أيها العريف شومي، هل تستطيع قراءة النوتة الموسيقية أم لا؟

شومة: (بغضب): لا تحك هكذا. جئت وجاءت معك المشاكل. أنا أقول أنتظر النقيب ونستون وتقول

تعلمني، والآن تزعجني بالنوتة الموسيقية. كيف رجل مكتب يأخذ البوق ويعزف موسيقى؟

الرائد سيلفا: هل تستطيع أن تقرأ الموسيقى أم لا يا أخ شومي؟

شومة: هل تستطيع أن تعزف البوق أم لا يا رائد سيلفا؟

الرائد سيلفا: لا، لقد طفح الكيل. كيف يتوقع مني الأخ ونستون أن أعلمك أي شيء وأنت أمي من ناحية الموسيقى؟

شومة: هكذا، أنا أمي الآن؟ أنا أمي؟ أنت نفسك الأمي. أنت الأمي.

الرائد سيلفا: ماذا؟ حسنا. فلنحافظ على أعصابنا.

شومة: أنا لا أفقد أعصابي، أنت لا تعرف أين تترك أعصابك، بل إنك لا تعرف اسمي المضبوط، وتقول أمي. اسمي ما هو شومي، اسمي شومة.

الرائد سيلفا: (بجهد يفوق طاقة البشر): الغضب، غضب الجندي المسيحي يجب توفيره لأعداء الله والحق فقط. اخفض رأسك من فضلك يا عريف شومي، عفوا... شوماي.

(يتخذ وضعية الصلاة ويفعل شومة الشيء نفسه بإذعان. يلبثان صامتين لدقائق عدة)

فليعطنا الله القوة لمواجهة خطيئة الكبرياء الكاذبة وشيطان الغضب. آمين.

شـــــومــــــة: آمين.

الرائد سيلفا: والآن سوف نبدأ كل شيء من البداية. (ينزع ورقة النوتة الموسيقية) مارأيك أن ننسى أمر هذه النوتة في الوقت الحاضر؟ قال النقيب ونستون إنك تعزف البوق بالفطرة وأظنه محقا. إلا أنه تبقى هناك أشياء لا بد من تعلمها، وإلا صرت مثل صوت وحيد يصرخ في البرية، والآن هلا أعدنا المحاولة؟

أريدك أن تراقبني وتتابع... آآآ... حركات يدي، هكذا راقب، راقب... تام... تاراتا تام... تارا... تام، وهكذا دواليك. واضح؟

شـــــومــــــة: (بلهجة توكيدية): نعم، نعم، هكذا يعلمني النقيب ونستون.

الرائد سيلفا: جيد. والآن هل نحن جاهزون؟ واحد، اثنان، ثلاثة...

(يواصل الكلام وهو يعزف)

هذا أفضل. تذكر دائما أن ألحان الجيش لا بد أن تكون عسكرية في إيقاعها وطابعها، تذكر أننا نستخدمها في مسيرات وليس في رقصات. لا، لا، توقف من دون بهرجة رجاء، من دون بهرجة، وخصوصا في لحن عسكري، بل وفي لحن عسكري بالذات.

شـــــومــــــة: ماذا هو بهرجة؟

الرائد سيلفا: عفوا.

شـــومـــة: ماذا هو بهرجة؟

الرائد سيلفا: آه البهرجة. حسنا، البهرجة هي... آآآ... إضافة، يعني زخرفة، زينة. ما نريده هو نغمات صافية، نغمات نقية كالبلور (يبدو شومة تائها) اسمع، هلا عزفت الفاصلة الأولى فقط؟

شـــومـــة: (بحيرة أكبر): فاصلة؟

الرائد سيلفا: نعم الأولى... حسنا، إذن لم لا تبدأ من البداية مرة أخرى؟ وسأوقفك حين تصل إلى الهرجة...

(يعزف شومة ويوقفه سيلفا بعد نغمات عدة)

هذه هي. لقد عزفت تاااااتا، أو شيئا من هذا القبيل، بدلا من تاتا.

شـــومـــة: آه، يعني الفلفل.

الرائد سيلفا: الفلفل؟

شـــومـــة: نعم الفلفل. عندما تطبخ شوربة تضع الفلفل، وإلا ما لها طعم، يعني لها طعم، ولكن مثل أي شيء. على كل حال، حتى الرمل له طعم، ولكن من يعجبه الرمل؟ إذا أعطوك رملا حتى تفرمه. هل تفرمه؟

الرائد سيلفا: (وقد بدأ يشك في قواه العقلية): سيد شومة، إذا قلت لك أنني فهمت كلمة واحدة مما تقول، أكون قد ارتكبت خطيئة الكذب.

شومة: ماذا؟ ما تعرف إيش هو الفلفل؟ النقيب ونستون لما أقول الـ «فلفل» يعرف فورا ما أقول.

الرائد سيلفا: لا أعرف، حسب تعبيرك الطريف، ما هو الفلفل في الموسيقى يا سيد شومة.

شومة: والبهارات؟ الملح؟ عصفر؟ قرفة؟ كمون؟ إلخ... إلخ.

الرائد سيلفا: سيد شومة، يؤسفني أنني لا أرى العلاقة بالضبط...

شومة: لا، لا، لا تحاول أن تراهم، حاول أن تسمعهم. (ينفخ نغمة منتظمة) هذه شوربة من دون توابل (ينفخ مرة أخرى متحولا إلى نغمة أكثر حدة) وهذه شوربة مع فلفل. (ينتقل إلى نغمة أخرى) هذه المرة وضعت نكهة إضافية. ولكن افرض أني وضعت سمكا مقددا، سمكا مدخنا، شطة...

الرائد سيلفا: إذا لم يكن لديك مانع، فالأفضل أن تتمرن بطريقة طبيعية لا وقت لدينا لكل هذا الهراء.

شومة: انتظر قليلا. ما تعجبك الشطة، وما تعرف ما هي؟ وتقول إن أكلتي البلدية هراء؟

الرائد سيلفا: لم يكن في نيتي إهانتك بأي شكل من الأشكال يا سيد شومة.

شومة: إذن الهراء ما هو إهانة لرجل في قدري، فأنا ما أعرف الإهانة؟

الرائد سيلفا: أخ شومة، رجاء، لا بد أن تتذكر أن لدينا موعدا مهما في إعدامات الغد. يجب أن نتمرن.

شومة: (ينفخ نغمة عدائية حادة على البوق): سمك مقدد. (واحدة أخرى) عصفر. مللت هراءك (يلقي قبعته أرضا، وينفخ مزيدا من النغمات) خروب وفلفل أحمر (يخلع حذاءه) إذا كنت تبقى هنا لما أضع الشطة ستندم على رأسك.

(يندمج شومة الآن في الموسيقى تماما محولا النغمة إلى إيقاع تقليدي، وتتصاعد حماسته بشكل متزايد، وبشكل تدريجي تبدأ قدماه بالتجاوب مع الإيقاع الذي سرعان ما يستولي على جسده كله، يرقص مهاجما سيلفا الذي يتراجع دون أن يتمكن من الفرار في الحال، لأن رقصة شومة تسد المخرج. وأخيرا، يتنحى شومة جانبا، فيغتنم الفرصة ويلوذ بالفرار.

يواصل شومة الرقص دون أن يلاحظ الأخ جيرو الذي يدخل ويهز رأسه بيأس، ثم يخطو داخلا الرقصة بطريقته المحسوبة نفسها. وتدريجيا يلاحظ شومة أن هناك رجْلين أخريين تشاركانه الرقص، فتتباطأ حركته حتى تتوقف ويصعد بنظره من الرِّجْلين إلى وجه جيرو بابتسامته البشوش.

(يتراجع شومة)

جـيـرو: (فاتحا ذراعيه): لست شبحا يا أخ شومة. من يقف أمامك ليس طيفا. تأكد أنك قد استعدت عافيتك ولم تعد تعاني الهلوسة، هذا أنا، أستاذك القديم الحبيب، العراف جيروبم، جيرو النقي، بطل الحملة الصليبية المفوه.

شـومـة: (يقف دون حراك): انقلع من هنا وإلا كسرت رأسك.

جـيـرو: تكسر رأسي؟ وماذا يفيدك كسر رأسي؟

شـومـة: يعوضني عن كل ما عانيته على يديك. أنا أحذرك، انقلع.

جـيـرو: ما عانيته على يدي؟ أنت يا أخ شومة، عانيت على يدي؟

شـومـة: تقول للشرطة إني جننت، لأن الله كشف لؤمك وخداعك، وأنا أصرخ لكل العالم...

جـيـرو: أخ شومة...

شـومـة: أنا لست أخاك، لا تقل أخاك، إخوة مثل قابيل وهابيل. إخوة عيسو ويعقوب[6] تأكل لحمتي وتسرق ورثتي...

جـيـرو: أنت تظلمني ظلما فادحا يا أخ شومة.

شـومـة: صحيح؟ وأنت تعدلني؟ تحبسني في مستشفى مجانين حتى تغطي الغش. أنت واحد غشاش، ببساطة ووضوح. عراف غشاش

(يزداد حماسه) اسمع، أنا أحذرك، انقلع من هنا، إذا أحببت رأسك (مقتربا).

جيرو: ها قد رفعت يدك ثانية على من عمده الرب. تذكر كم كلفك ذلك.

شومة: من عمده الرب؟ أنت؟

جيرو: لقد رفعت علي سيفا يا أخ شومة، ولكنني غفرت لك.

شومة: هذا هو الغفران؟ ثلاثة أشهر في مستشفى مجانين! هذا هو الغفران في إنجيلك؟

جيرو: ألم يكن ذلك أفضل من السجن المؤبد للشروع في القتل؟

شومة: لو كنت شققت رأسك بالسيف لصار العالم مكانا أفضل. كان يمكن أن يشنقوني، ولكن وقتها سأصبح شهيدا وقديسا. قد أموت، ولكن العالم كله سيقول عني القديس شومة.

جيرو: ولكن انظر حولك يا أخ شومة، انظر حولك. تريد أن تجعل هذا العالم مكانا أفضل؟

حسنا، ولكن أن تشنق في سبيل ذلك، وربما في العلن؟ من أجل من؟ في سبيل أناس مثل الرائد سيلفا؟ أناس لا يستطيعون حتى أن يفهموا الروح الموسيقية التي أنعم الله بها عليك؟ هل يستحقون ذلك يا أخ شومة؟ آه. لقد أخذت أراقبكما لبعض الوقت، صدقني هذا

الرجل عدو، عدو، إنه لا يفهمك، أنا واثق أنهم جميعا مثله.

شومة: ليسوا كلهم مثله. النقيب ونستون...

جيرو: رجل أبيض. إنه ليس واحدا منا. أنت نفسك تعرف أنه منافق. كل البيض منافقون.

شومة: هو خلصني من مستشفى المجانين، أليس كذلك؟ إذا كان هذا هو النفاق، الحمد لله على النفاق.

جيرو: كان بحاجة إلى عازف بوق.

شومة: قبل هذا ما كنت أعزف البوق. كنت لا أستطيع أن أمسك نفسي.

جيرو: ولكنك كنت تعزف على مزمار صغير حين سمعك. أعرف القصة كلها يا أخ شومة. جاء هو وفرقته للترفيه عنكم، أنتم المرضى المساكين.

شومة: (بحدة): أنا لست مريضا مسكينا. أنت قلت لهم يحبسونني في هذا المكان مع المجانين. أول يوم شفتك فيه، هذا اليوم صرت مسكينا.

جيرو: (يتحول بشكل متزايد إلى أسلوب المواعظ المرتلة): أخ شومة، يجب أن تشكر الرب الرحيم لا أن تلومه على الوضع الذي وجدت نفسك فيه. فحين رأى بحكمته أن يزود رجلي بجناحين وجعلني أطير على الشاطئ المهجور هربا من سيفك المتقد غضبا، تأكد أنه لم يكن

يعلق كل هذه الأهمية على حياتي أنا. لا يا أخ شومة، بل على حياتك، حياتك أنت.

فكر فيما كان سيحدث لو أنك حققت نيتك الآثمة بالفعل، وأرديتني شهيدا على الرمال، أما كانت روحك ستلعن إلى الأبد. تخيل دمي وهو يغوص في الرمل ويختلط بالزبد، وتخيل رجليك غارقتين في هذا المزيج الرهيب وقد أثقلهما الخوف من الدينونة الأبدية.

أي رجل مهما بلغت سرعته في العدو يستطيع أن يجري دون عون على شاطئ رملي؟هل يفر من إرادة الله وقانونه؟ تخيل نفسك كما كنت ستكون: طريد الله والإنسان، روحا ضالة تصرخ من هول الدينونة. أم أنك كنت ستلقي بنفسك بين الأمواج ساعيا إلى إغراق نفسك؟ لو نجحت لأصابتك دينونة مضاعفة. أما لو فشلت، ولفظك البحر ملقيا بجسدك القذر على الشاطئ، ففكر كيف كنت ستعيش منبوذا لا تجد العزاء حتى في الموت. ألم تذكر أنت نفسك منذ لحظة قصة قابيل وهابيل بمغزاها الأخلاقي؟ أو لم يقع قابيل في الدينونة إلى الأبد؟ أو لم يلعنه الله تعالى بذاته؟ ولكنني أدركت أنه لا قبل لك بمثل هذا العمل الشرير، الذي كان من عمل الشيطان

دون شك. فهل أخطأت في حمايتك بالأسلوب الوحيد المتاح لي؟ ولقد تلقيت معالجة وعناية فائقتين لثلاثة أشهر. أما زوجتك الطيبة أموبة، وقد رأت زوجها في خطر فقدان عقله، فقد برهنت مرة أخرى على أن قلبا من ذهب ينبض وراء مظهرها المشاكس، وللمرة الأولى منذ زواجك يا أخ شومة، اكتشفت أن صوتا عذبا يكمن تحت اللسان السليط لهذه المرأة. ولقد أظهرت لك من المحبة والعناية ما أنكرته عليك طوال هذه السنين. وهكذا، فإن الرب الرحيم، وقد رأى أنك استعدت عقلك أخيرا، أرسلني لك منقذا، تماما كما أنقذ نبوخذ نصر في قديم الزمان من أهوال الظلمة والجنون. آه يا أخ شومة، ما أعظم الرب وما أرحمه، فلنركع ونمجد اسمه، المجد للرب يا أخ شومة، المجد للرب، المجد للرب على نعمة العقل وعلى نعمة الحياة، والمجد له أيضا على ترقيتك القادمة. نعم ترقيتك القادمة؛ فهذه هي البشارة التي يحملها شخصي المتواضع.

شومة: (بتردد): ترقية؟

جيرو: التي يحملها شخصي المتواضع. أرسلك يا عراف جيرو، قال الرب طوبى لصانعي السلام، لأنهم سيرثون ملكوت الله لتصالح أخاك

شـومـة، ولتـأخـذ مـعك عـربونا للسـلام هذه البشرى الطيبة عن ترقيته القادمة.

شـــومــــة: ترقية؟ كيف يمكن؟

جـــيـــرو: (بشـدة): هل بك شك يا أخ شـومـة؟ أتشك في نبوءتي؟ هل جعلتك إقامتك بين المجانين تنسى ما نبئت به من حرب عشنا لنراها تتحقق؟ هل تثق بي وتمجد الرب، أم أنك تقر على نفسك بالتردد في ساعة المحنة هذه؟

شـــومــــة: المجد للرب.

جـــيـــرو: في صورته الجديدة يا أخي. رنم له.

شـــومــــة: فلنرنم له.

جـــيـــرو: الذي طهرنا بدمه، كما تنبأت أنا.

شـــومــــة: فلنرنم له.

جـــيـــرو: رنم له هاليلويا.

شـــومــــة: هاليلويا.

جـــيـــرو: (يبذل كل ما في وسعه لإثارة «الانسجام الإيقاعي» لدى شومة بشكل حقيقي): أخرجك من الظلمات إلى النور.

شـــومــــة: هاليلويا.

جـــيـــرو: لن تتعرض قدمك للزلل ولن تتعثر ثانية.

شـــومــــة: هاليلويا.

جـــيـــرو: أرسله صارخا والنار في إثره، له المجد.

شـــومــــة: هاليلويا.

جيرو: المجد للرب هاليلويا، المجد للرب.

شومة: المجد للرب هاليلويا، المجد للرب.

جيرو: المجد للرب هاليلويا، المجد للرب.

شومة: هاليلويا، هاليلويا، المجد للرب، هاليلويا، المجد للرب هاليلويا، المجد للرب، هاليلويا، المجد للرب...

(يصفق جيرو على الإيقاع ويتمايل الأخ شومة وينشد وهو جاثٍ على ركبتيه)

جيرو: (يتنحى جانبا ويقف بشكل محايد مراقبا شومة الذي تسيطر عليه النشوة): لقد انتابني الشك لبرهة، ولكن كان يجب أن أكون أبعد نظرا. ربما كان إخوة جيش الخلاص هؤلاء قد غسلوا بدماء المسيح الحمراء، إلا أنه يتبين في كل مرة أن دماء عرافي باربيتش السوداء هي الأقوى.

(يصيح فجأة ويستدير إلى شومة) هاليلويا يا أخي، هاليلويا.

(يشارك شومة بضع دقائق أخرى ثم يربت على كتفه)

جيرو: أخ شومة. أخ شومة (يهزه قليلا) أخ شومة. أخ شومة (يلتقط البوق وينفخ بقوة في أذن شومة)

شومة: (مجفلا من نشوته): ماذا يا أخ جيرو؟

جيرو: بوق الرب يا شومة، إنه يدعونا إلى

الواجب. وكما يقول الرب: هناك وقت لكل شيء: وقت للضحك ووقت للبكاء، وقت للصحوة ووقت للنوم، وقت للصلاة ووقت للعمل. وهذا وقت العمل.

شـومـة: العمل؟

جـيـرو: نعم، العمل. انهض يا أخ شومة واتبعني، فالرب في حاجة إليك.

شـومـة: (ينهض ويستعيد توازنه بتردد): في حاجة إلي أنا يا أخ جيرو؟

جـيـرو: نعم في حاجة إليك. لقد طال بقاؤك في المعارضة، مخدوعا، محتقرا ومهانا، وحان وقت ترفيعك. احمل بوقك واتبعني، سوف أشرح لك كل شيء في طريقنا للقاء... (يتوقف ليقول بتوكيد مقصود) إخوتك العرافين.

شـومـة: (فاغرا فاه): الإخوان العرافون يا أخ جيرو؟ ولكن أنا ما...

جـيـرو: ليس بعد الآن يا شومة، من الآن أنت عراف بكل معنى الكلمة. لا، ليست هذه الترقية، فما هي إلا أول الغيث، أما ترفيعك الكامل فسيجري الليلة أمام إخوة الشاطئ المجتمعين. لقد عبرت نيران الجحيم وخرجت منها خادما قويا للرب. لقد خلصت، طهرت، ألهمت، وتلقيت الهداية من الآن فصاعدا، أخ حقيقي

وعلى قدم المساواة، ولست خادما لي، اركع يا أخ شومة...

شـــومــــة: (يركع وهو يتـرنح): ولكن يا عــراف... أنا مسكين...

جـــيـــــرو: إنما أنا أنفـذ أوامـر الـرب الكريم، لا أكـثـر (يربت بعصا الكهانة على كتفيه كلتيهما)

انهض يا عراف شومة، اخدم الرب وحارب في سبيله إلى الأبد.

(يدير عـصـا الكهـانة ويعطيـه «المقـبض»[٧].

يمكنك أن تستخدم عصاي إلى أن تحصل على العصا الخاصة بك ويتم ترسيمك.

شـــومــــة: (وقد أسقط في يده): هذا عطف كبير منك يا أخ جيرو.

جـــيـــــرو: ما أنا إلا أداة لتحقيق إرادة الرب (بحيوية) والآن انهض، لنمـضـي فـالآخـرون ينتظرون، وأمامنا الكثير لنفعله.

عتمة

المشهد الثالث

(الفسحة الأمامية لمقر الأخ جيرو. ضجيج، ثرثرة في وسط مجموعة من أغرب ما يكون من العرافين. لقد سبق وجرى إخراج المكتب والكراسي من المقر من أجل الاجتماع. تخرج الأخت ريبيكا من المنزل حاملة الصورة من المكتب وتعلقها على الجدار الخارجي.

تأخذ ريبيكا كرسيا إلى شخص على أشد ما يكون من التصلب، وهو يحدق أمامه باستقامة ويداه معقودتان على صدره. إنه الوحيد الذي يبدو عازفا عن المشاركة في الشراب المتدفق دون انقطاع، والذي يظهر تأثيره بالفعل على واحد أو اثنين من الموجودين.

شـــادرش: لا يا أختاه، نحن نرفض الجلوس، نحن نرفض الجلوس لقد تعرضنا للإهانة ونحن نعلن احتجاجنا. لم نعامل باحترام يليق برئيس طائفة تضم عشرين ألفا. فالأخ جيرو الذي حضرنا إلى هذا المكان بناء على دعوته، ليس حاضرا لاستقبالنا. إننا نحتج على هذه الإساءة.

كـــالـب: اسمع اسمع (يصيبه فواق)، سلوك لا يليق بعراف محترم.

ريبيكا: أؤكد لك يا أخ شادرش أنه قد عطلته مسائل تتعلق بصميم القضية التي جئتم لمناقشتها.

إيساك: إذن لا بد أنها تأخذ كثيرا من وقته.

شادرش: كثيراً «وكثيراً» جداً يا أخت ريبيكا، إن إبقاءنا منتظرين إهانة موجهة إلينا.

أنانايس: هيا اجلس أيها العجوز الأبله، يا لك من منافق.

شادرش: (يستدير مغادرا): نستأذن في الانصراف.

كالب: اسمع اسمع، فلننظم جميعا انسحابا مشرفا. لا أحد ينسحب في هذه الأيام، وذلك منذ أن اختفى البرلمانيون.

إيساك: ياللتلك الأيام الخوالي، كانت طيبة للعمل.

كالب: هيا يا شاد العجوز، اخرج بنا في انسحاب (بصعوبة كبيرة في لفظ الكلمة) إكليروسي مشرف.

ريبيكا: أخ شادرش، أرجوك.

شادرش: لا، هيا ننصرف فللمرة الثالثة في هذه الليلة يهيننا أحد الأوباش من زملاء المهنة. نستأذن بالذهاب.

كالب: اسمع اسمع، العضو الموقر في...

ريبيكا: لا تلق بالا يا أخي، أنا أعتذر بالنيابة عنهم. سامحنا جميعا على تقصيرنا في حقك.

شادرش: قد سامحتكم يا أختاه (يجلس).

أنانايس: (يميل على مسند كرسيه): سوف تنفجر يا شادرش، مثل الضفدع في المستنقع.

كـــــالـب: مثل الضفدع في المثل (فواق). الضفدع في المثل.

شـــــادرش: (ودون أن يفـقـد توازنـه يقـذف يده بحـركـة دائرية ويمسك يد أنانايس من المعصم ويجذبها إلى الأمام، فنرى يده وفيها محفظة): محفظتي فيما أظن يا أنانايس؟

أنــانــايــس: لقــد وقــعت على الأرض. أهكذا تشكرنـي على مساعدتك في التقاطها؟

شـــــادرش: أنا لا أتهم أحدا يا أنانايس (يعيد المحفظة إلى ثنايا ثوبه): لقد التقينا جميعا في روح من الأخـوة كـمـا آمل، والدرس يقـول أنا حـارس لأخي، ولست أنا حارس لمحفظة أخي.

أنــانــايــس: (مشيحا عنه): لا تلق أملاكك على الأرض، هكذا يقول الكتاب المقدس. حقا أقول لك، من الأسهل على الجمل... إلخ.

كـــــالـب: (يرفع كوبه): يا أخت ريبيكا، لقد فرغت الكأس.

ريـبــــيـكـا: (تهرع لملئها): اعذرني يا أخ كالب.

كـــــالـب: من الضروري رفع الروح المعنوية.

إيـســـــاك: إذن أين هذا الجيروبم؟ متى سيأتي ويخبرنا لماذا جعلنا نترك مواقعنا لننتظر سعادته؟

ريـبــــيـكـا: لحظة يا أخ ماثيو.

إيـســـــاك: أنا لست الأخ ماثيو.

ريـبــــيـكـا: عفوا يا أخي.

كـــــالـب: حالة التباس واضحة يا أخت ريبيكا.

إيســــــاك: أنا لست الأخ ماثيو أيتها الأخت، وأرجوك أن تلاحظي هذه الحقيقة.

مــــاثيـــو: (مغتاظا): وهل لي أن أسأل ماذا يضيرك في أن تكون الأخ ماثيو؟

إيســــــاك: أعرف كل شيء عن الأخ ماثيو، ويكفي ذلك جوابا لكل من لديه حس من الحياء.

ريبـــيكـا: سامحني على هذا الخطأ غير المقصود، لا داعي لإثارة شجار من أجل هذه القضية.

إيســــــاك: من كان يتصور أنه من الصفاقة بحيث يرينا وجهه هنا. حقا إن بعض الناس ليست لديهم ذرة من الحياء.

كـــــالـب: اسمع اسمع.

مــــاثيـــو: وبعضهم الآخر فريسيون زائفون.

إيســــــاك: فريسي زائف خير من مهووس بالجنس.

مــــاثيـــو: أنا أستنكر هذا.

إيســــــاك: لا بأس. استنكر كيفما شئت.

مــــاثيـــو: أتحداك أن تكرر ذلك، وسترى كيف ستنتهي في محكمة بتهمة الافتراء. استمر، نحن جميعا مصغون. لدي شهود، هيا أنا أتحداك.

إيســــــاك: لا حاجة بي إلى ذلك، فكلنا نعرف الحقيقة. صحيح أنهم برأوك، ولكننا نعرف الحقيقة.

مــــاثيـــو: جبان.

إيســــــاك: زان.

ماثيو: سكير، صاحب سوابق، مزور.

كالب: ثلاث مقابل مخالفة واحدة.

ريبيكا: (تتدخل بينهما حين يهمان بالاشتباك): أيها الأخوان، أرجوكما باسم مهنتنا المشتركة (يدخل جيرو وشومة، فتتنهد ريبيكا بارتياح).

آه يا أخ جيرو، أنت حقا تلبية لصلاتي.

جيرو: أهلا أيها الإخوة، أهلا بكم جميعا، وسامحوني لوصولي متأخرا إلى الاجتماع الذي دعوتكم إليه بنفسي (يسلم ريبيكا مفتاحا) افتحي الخزانة وأخرجي سلاحنا السري يا أختاه.

إيساك: لقد انتظرنا ساعتين يا أخي.

أنانايس: لم يمض على وجودك نصف ساعة، لقد رأيتك تدخل.

جيرو: آه، أرى أكوابا فارغة، لا عجب أن إخوتنا مستاءون. أخت ريبيكا، نحن بحاجة إلى ضيافة أفضل.

ريبيكا: (تخرج ومعها الملف): هل تظن ذلك من الحكمة يا أخ جيرو؟ إنهم أصلا في غاية الـ..

جيرو: ثقي بي، أنا أعرف ما أفعله يا أختاه (بصوت مرتفع)، مزيدا من الشراب لإخوتنا. املئي الكؤوس يا أخت ريبيكا.

شادرش: نحن لا نشرب، لقد جئنا لنقاش جاد، هكذا قيل لنا، ولم نأت لنأكل ونشرب.

جيرو: لن نتشاجر. أعترف أن الذنب ذنبي. أخت ريبيكا، بعض النشوق للأخ شادرش.

ريبيكا: سآتي به في الحال يا أخ جيرو.

جيرو: (يستدير إلى الجميع بابتسامة مشرقة): والآن يا أعزائي رعاة القطيع. لا داعي لإضاعة الوقت، فنحن نعرف بعضنا، ولا داعي لإضاعة الوقت في التعريفات. موضوعنا هو التقدم، لقد داهمنا التقدم وأخذ يضرب سواحلنا وعتبات معابدنا مثل أمواج المحيط. مشاريع في كل مكان: مدن، ملاهٍ، قمار، كازينوهات! فعبيد المال قد أدارت رؤوسهم تلك المغريات الأجنبية التي تجذبهم كلما سافروا في ما يسمونه مهمات اقتصادية. اما مهمتنا، مهمة الرب يهوه، فستكون كبش الفداء على مذبح المال. وحين ترون الدخان يتصاعد في ذلك اليوم الحزين، فستعرفون أنه يتصاعد من أكواخ الإيمان، تلك التي أقمناها لتؤوي المسيح حين عودته في ذلك اليوم الذي طال انتظاره. فماذا سيجد؟ ما الذي سيجده حين يأتي فوق الماء؟ هذا الصياد بين البشر؟ ماذا سيجد حين يخطو إلى داخل المعبد العظيم المفتوح الذي أقمناه هنا، أنا وأنتم، في انتظار عودته المجيدة؟ هذا؟! (يسحب رزمة من الصور من

جيبه يرافقه عزف البوق) هذا يا إخواني؟!
(يراقب جيرو ردود فعله بينما يتناقلون صور سابحات حسناوات لا يستر أجسادهن إلا القليل. وتتفاوت ردود الفعل من شادرش الذي يشيح بوجهه في اشمئزاز مدروس، وأنانايس الذي يجد فيها فجورا مضحكا، إلى ماثيو الذي يسيل لعابه بكل معنى الكلمة).

شادرش: يجب ألا يحدث هذا هنا.

إيساك: أبدا، يجب أن ننظم أنفسنا.

كالب: وأنا موافق، فلنوحد قوانا. لا نريد من حيتان الأعمال أن تستولي على مياهنا الروحية.

إيساك: لا بد من ارتياد كل قنوات الاحتجاج الرسمية.

ماثيو: ولماذا؟

أنانايس: ماذا تقصد لماذا؟

ماثيو: قلت لماذا؟ هذه الصور ترينا أرواحا ضالة في حاجة للهداية، فهل ندير ظهورنا لمن هم على هذه الحال؟ إذ «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى(*)».

إيساك: ليس أسلوبك في الطب يا أخ ماثيو.

شادرش: إذا كنا قد فهمنا ما يعنيه الأخ جيرو، وأظننا فهمناه، فالنية قائمة على

(*) من أقوال السيد المسيح (إنجيل لوقا: ٥: عدد ٣١)

استبعاد.. استبعادنا نحن، أي الأطباء مما يسمى بالمنتجع، أليس كذلك؟

ماثيو: لا نعرف ذلك بشكل مؤكد.

جيرو: (يناوله الملف مفتوحا على إحدى الصفحات): اقرأ هذا يا أخ ماثيو. هذه وقائع اجتماع مجلس الوزراء الذي اتخذت فيه قرارات معينة.

ماثيو: (مجفلا): أي ملف هذا؟

جيرو: اقرأه.

ماثيو: هذه الورقة تقول إنه سري، لا أريد مشاكل مع الحكومة.

إيساك: تصرف حكيم جدا يا أخ ماثيو، يجب ألا تعرض كفالتك للخطر (يأخذ الملف)، سأقرأه أنا.
(يصفر من النظرة الأولى) كيف حصلت على هذا الملف يا جيرو؟

جيرو: هذه حكمة الرب الخفية...

أنانايس: في تحقيق معجزاته. آمين.

إيساك: (يقرأ): «مذكرة من مكتب رئاسة الوزراء إلى المجلس السياحي. اقتراحات بتحويل باريبيتش إلى مسرح وطني مفتوح للإعدامات العلنية».
واو! أنت لم تقل ذلك.

جيرو: كنت أحتفظ به بغرض المفاجأة، فهذا هو صميم المشروع التجاري برمته.

شـــــادرش: نحن لا نفهم، هل يعني هذا...؟

جـــيـــرو: رزقا يا شادرش، رزقا وفيرا.

مـــاثـيـــو: وأين موقعنا في كل هذا؟

جـــيـــرو: صبرا، سنصل إلى ذلك. هلا تابعت يا أخ إيساك؟ انزل إلى الفقرة المعنونة «إزالة المساكن المخالفة».

إيســـــاك: (يتعكر سيماؤه غضبا): هه؟ هه؟ ها!

مـــاثـيـــو: ماذا هناك؟ ماذا هناك؟

إيســـــاك: أوباش! إنهم يسموننا أوباشا!

جـــيـــرو: اقرأ بصوت مسموع يا أخ إيساك.

إيســـــاك: «من المؤسف أن الشاطئ في الوقت الحالي يزحمه عرافون من كل الأصناف، ممن يخدعون المواطنين ويجعلون الشاطئ منفرا للناس المحترمين، ويأتي في مقدمة هؤلاء من يسمون أنفسهم... آه! ألا فليصعقهم غضب يهوه على أفواههم الآثمة.

جـــيـــرو: (مستعيدا الملف): الوقت قصير يا إخوان، ولا مجال للحساسيات الزائدة. (يقرأ)

« ... ممن يسمون أنفسهم عرافين ومبشرين. وهؤلاء لا يكفي إخلاؤهم، بل يجب اتخاذ خطوات من شأنها أن تضمن عدم استطاعتهم العودة في أي وقت إلى استاد الإعدام».

شـــــادرش: النار والكبريت! سادوم وعمورة!

جـــيـــرو: صبرا صبرا، أيها الإخوة. «إلا أنه من المقترح، وحيث إن الهدف من الإعدامات العلنية هو تربية الشعب أخلاقيا والارتقاء به روحيا، أن يصدر ترخيص لجماعة دينية محترمة بالعمل على شاطئ باربيتش وتقوم مثل هذه الجماعة بإجراء الصلاة قبل كل إعدام وبعده، ثم الإشراف حسب المناسبة على إجراء الشعائر الأخيرة لمن تم اعدامهم وبالمقابل يحصل أعضاء الجماعة على موقع متميز يتيح لهم إلقاء المواعظ في الجمهور حول شرور الجريمة والعبر المستقاة من نهاية الجناة المروعة، والتي ستتلوها موسيقى دينية تعزفها الفرقة النحاسية الخاصة بهم».

إيســـــاك: فرقة نحاسية، هذا يعني.

جـــيـــرو: نعم، جيش الخلاص.

شـــــادرش: كفى. لقد سمعنا كل ما نحتاج لمعرفته عن المؤامرة التي تحاك ضدنا. والسؤال الآن هو ماذا نحن فاعلون لإحباطها؟

جـــيـــرو: ننظم أنفسنا ونتوحد. الأخ ماثيو على حق، فالمرضى بحاجة إلى العلاج، يجب ألا نتخلى عن المظلومين وهم في أشد درجات الحاجة.

شـــــادرش: (ينظر نحو كالب وأنانايس): نحن نتوقع مشاكل في الاجتماع مع بعض زملاء المهنة.

جـــيـــــرو: كل المشاكل يمكن حلها، فالرهان كبير يا أخ شادرش.

شـــــادرش: والثمن كبير أيضا.

أنــانــايــس: اخرس أيها المنافق الأبله.

شـــــادرش: أنانايس!

جـــيـــــرو: هدوءا، هدوءا أيها الإخوة. عليك أن تكون أكثر أدبا يا أنانايس.

أنــانــايــس: لك هذا قبل أن تطلبه يا أخ جيرو، الرأي رأيك.

مـــاثـيـــو: ما الذي يرمي إليه جيروبم بالضبط؟ لم تكن لتدعونا إلى اجتماع ما لم تكن في ذهنك فكرة ما.

جـــيـــــرو: عين الصواب يا أخ ماثيو. لقد أعددت بعض خطط العمل، بل وبدأت بتنفيذها، فالحق أن الوقت قصير، وقد داهمتنا الأحداث. وصار شاطئ باربيتش هو حلبة الإعدام الوحيدة، ومسرح الموت في الأمة بأسرها! وفي الوقت الذي يعد جمهورنا بالآلاف، فالاستاد المقترح سوف يستوعب مئات الآلاف. يجب أن نحصل على حق الاحتكار الروحي لهذه الرعية التي ستقع في قبضتنا.

كـــــالـــب: اسمع اسمع.

إيـــســـاك: (بنفاد صبر): نعم، ولكن كيف؟

جـيـرو: نشكل جماعة واحدة موحدة ونكتسب صورة جديدة، ونتيح لقوى الأمر الواقع أن ترى نفسها معكوسة فيها، معكوسة ومكملة. سوف نتنبأ بصوت واحد. لا بأصوات ودية متفرقة تصرخ في البرية. بل بصوت الوحي الموحد الناطق باسم المهنة الروحية.

كـالـب: أسلمت لك الأمر يا أخ جيرو. ما كنت لأصوغ عباراتي بأفضل مما فعلت، هذا وأنا أفخر بأنني مثقف.

مـاثـيـو: أي صورة إذن؟

جـيـرو: أن نجعل مظهرنا الخارجي مطابقا لمظهرهم.

كـالـب: تقصد أن نكشفهم على حقيقتهم (ينفجر ضاحكا إلى أن يستولي عليه السعال حتى يكاد يختنق).

جـيـرو: أظن يا أخ كالب أن تعليقك هذا خال من الذوق.

مـاثـيـو: (بانفعال شديد): وخطير، خطير جدا. أنا أرفض أن أبقى دقيقة أخرى إذا سمح بمثل هذه التعليقات، فلسنا هنا للبحث عن المتاعب. أنا أربأ بنفسي عن هذا التعليق.

إيـسـاك: أما تزال قلقا على كفالتك يا أخ ماثيو؟

كـالـب: (يميل إليه والسكر ظاهر عليه): هل صحيح أن القاضي كان يعزف الموسيقى في كنيستك؟

جيرو: يا إخوان، يا إخوان، ليس هذا وقت الخصومات الشخصية التافهة. ينبغي ألا نحسد الأخ ماثيو على نفوذه الروحي في... بعض الأوساط الرفيعة المقام، فيما نحن على أعتاب إدخال علية القوم وأقواهم تحت وصايتنا الروحية.

شادرش: هل أصابتك أحلام اليقظة؟ بعد يوم أو يومين لن تجد سقفا فوق رأسك، وأنت تتحدث عن...

جيرو: نعم يا أخ شادرش، أؤكد لك أن علية القوم وأقواهم سيخضعون لوصايتنا الروحية.

شادرش: لقد نفخ النجاح رأسك.

كالب: ولهذا لديه مخططات كبيرة (ينفجر ضاحكا بمفرده)

جيرو: ماذا لو قلت لك يا شادرش أنه قد تناهى إلى مسامع الحكام أن جماعة دينية حديثة التكوين قد تنبأت للنظام بطول العمر؟ وأن هذه الجماعة الغامضة قد أعلنت أن الرب شديد السرور بمحاولات النظام الرائعة في قمع السطو المسلح، ورفض حق الاستئناف، وزيادة معدل الإعدام، والتخفف من جزئيات القانون السخيفة، والإسراع في المحاكمات، وأن كل هذه الأمور قد أسعدت الرب إلى حد أنه أنعم على النظام بالحياة الأبدية.

شـــــادرش: لن يصدقوك.

جـــيـــرو: لقد صدقوني وانتهى الأمر. لقد غرست البذرة فحسن زرعها وامتدت جذورها. غدا سيقترح المجلس البلدي جماعة دينية للمسرح الجديد، وسيبلغ مجلس الوزراء أنها هي الجماعة نفسها صاحبة النبوءة وسيتم إقرار احتكارنا الجديد دون مناقشة. هل هناك من يشك فيما أقول؟

شـــــادرش: إن ثالوث شادرش مادرش أبيدنغو الرسولي يضم عشرين ألف عضو في كل أنحاء البلاد، وفيهم أناس من كل المهن، بمن فيهم عسكريون من رتب عالية جدا، ولذا فنحن نقترح أن يضم ثالوثنا الرسولي كل الجماعات الأخرى إلى حضنه الروحي.

(يقابل اقتراحه بصيحات احتجاج فورية)

جـــيـــرو: لا يا أخ شادرش. هذه الفكرة كما ترى، وبكل بساطة لن تنفع. هل من اقتراحات أخرى؟

(يهزون أكتافهم جميعا)

إيـــســـاك: حسنا يا جيرو، إلينا باقتراحك.

جـــيـــرو: جميعكم يعرف الأخ شومة، أو بالأحرى العراف شومة.

مـــاثـيـــو: هذا الذي طار عقله.

أنـــانـــايـس: يبدو أعقل منك ومني، على الأقل أنظف.

جــيــرو: لقد ترك العراف شومة صفوف الأعداء ورهن مصيره بنا، واعتمادا على مساعدته وعلى المعرفة العميقة التي جمعها حول آلية عمل تلك المنظمة الأجنبية التي كان ينتمي إليها يوما ما، فسوف نعيد تشكيل أنفسنا وفق الصورة المنشودة. سوف نعلن جوهرنا الروحي الموحد وفق صورة حكام البلاد ومظهرهم، ولا بد أنكم توافقونني أن في هذا غاية الاحترام (ينهض) أخت ريبيكا، أخرجي الراية.

ريــبــيــكــا: (تركض خارجة ومعها الراية وهي متوردة من الحماسة): هل جاءت اللحظة المرتقبة يا أخ جيرو؟

جــيــرو: لقد جاءت اللحظة يا أخت ريبيكا. اشهدوا الآن مولد الكنيسة الأولى لجيش الخلاص الرسولي الإلهي.

(شومة يبدأ بعزف أغنية «هل غسلتك دماء الحمل». وتغني ريبيكا بحيوية وهي غافلة عن العالم)

انظروا إلى جماعة الرب الجديدة. إلى الأمام، إلى المعركة أيها الإخوة.

إيــســاك: ضد من؟

جــيــرو: بالضبط.

شــادرش: (باحتقار): بالضبط ماذا؟ يسألك ضد من، فتجيبه بالضبط؟

جـيـرو: بالضبط، ضد من؟ لا نعرف عن ذلك أكثر ممن يمثلون قدوتنا الدنيوية. إنهم ينتظرون معجزة، وسوف نقدمها لهم.

شـادرش: (مشيرا إلى شومة): بالمخبولين من أمثاله؟ أتحسب أنك ستبني إمبراطورية؟

جـيـرو: سأبني امبراطورية روحية يا أخ شادرش. ومن ليس معنا فهو علينا، هذا هو جيش الخلاص مع الفرق، مع الفلفل والبهارات، مع الشطة. صحيح يا أخ شومة؟

(يومئ شومة برأسه بحماس دون أن يوقف الموسيقى)

إيسـاك: هيه، لم تقل من سيكون قائد الجيش.

كـالـب: نقطة مهمة، مهمة جدا.

جـيـرو: ندخل متساوين ونشكل اتحادا.

شـادرش: الكل بحاجة إلى رئيس.

كـالـب: (بوقار): الشيخ شادرش عمييييق (فواق).

جـيـرو: رئيس فخري يصدر الأوامر ويكون عينا ساهرة على صندوق الكنيسة، رئيس رمزي تماما.

إيسـاك: نعم ولكن من؟ من في رأيك سيكون النقيب؟

جـيـرو: نقيب يا أخ إيساك؟ لا لا، نقيب لا يكفي: يجب ألا نقلل من قدرنا في عيون الناس. لواء على الأقل.

إيســــــاك: ومن سيكون صاحب هذه الرتبة، لم تقل بعد.

جـــيـــرو: من في يديه أسرار المجلس السياحي، من يستطيع أن يضمن أن الجماعة الجديدة سوف تحصل على ترشيح المجلس السياحي.

أنــانــايــس: كنت أعرف ذلك، كنت أعرف أنه يحتفظ بشيء لنفسه.

إيســــــاك: لقد فكرت بكل شيء، أليس كذلك؟

جـــيـــرو: يمكنك أن تقول إن الله ألهمني يا أخ إيساك.

شــــــادرش: وأنت فيما نظن تمتلك الأسرار الآنفة الذكر؟

جـــيـــرو: هل نحن جماعة موحدة أم لا؟

أنــانــايــس: بحق يسوع! تلك الجيوب الممتلئة التي تقول انشلني، فيما أصحابها يضحكون من الشيطان المسكين على منصة الإعدام. إنها لخطيئة أن يغيب المرء عن جنة عدن هذه. (يلقي التحية لجيرو) حضرة اللواء، جاهز للخدمة يا سيدي.

جـــيـــرو: (يرد التحية): اذهب إلى الغرفة أيها الرائد، وابحث عن بدلة تلائمك.

إيســــــاك: رجال أعمال من أصحاب الملايين، مذنبون أغنياء يحضرون للاستمتاع والفرجة على ما يجري من استعراضات للإعدام على باربيتش.

جـــيـــرو: من غيره يريد الانضمام إلى جيش الرب؟

إيســــــاك: إنها سادوم وعمورة، الحليب حامض والعسل مر.

جيرو: من ينحاز إلى جيش الرب؟

إيساك: ما الرتبة التي تفكر في منحها لي؟

جيرو: عقيد (مشيرا)، في الداخل ستجد بدلة ملائمة.

(بينما يدخل إيساك يعود أنانايس وهو يغني بحيوية ويعزف على دف. لباسه يشبه بدلة جيش الخلاص، عدا القبعة التي تشكل اللمسة «الأصيلة» والمصنوعة من مواد محلية وفق أسلوب أبدجاجا. إنه مزيج مضحك).

ماثيو: (يلقي نظرة أخرى على صورة حسناء بضة من السابحات، ويقرر): كنت أعزف المزمار قليلا يا أخ جير... أعني أيها اللواء جيروبم. حتى أنني كنت مرة في فرقة المدرسة.

جيرو: ستجد بدلة هناك أيها النقيب.

شادرش: لن تغيركم البدلات، مهما لبستم ستظلون أوباش شاطئ باربيتش كما أنتم. لا أحد سيعطيكم احتكارا.

كالب: أخطأت من كل النواحي يا أخ شاد، فالناس مظاهر، والمرء يعرف من لباسه.

جيرو: قريبا جدا ستغلق الجمعية، والرتب تقتصر على الأعضاء المؤسسين. نحن نستمد سلطتنا من نعمة الله الأبدية. اشترك الآن، وإلا فاذهب.

شــــادرش: أيها الجشع! نحن نعرف أمثالك يا جيرو. هيا تابعوه، عدوا الدجاج قبل أن يفقس البيض.

كــــالـب: أخطأت ثانية يا شاد. يبدو أنك لا تعرف قدر جيرو، إذا قال إنه سيحصل على الاحتكار فسيحصل عليه. رجل دقيق ومنظم، من النوع الذي يعجبني.

جــــيـرو: أي رتبة تريد يا كالب؟

كــــالـب: سأتمسك برتبة عقيد. قد أكون على شيء من الـ.... (فواق) ترى ما أعنيه، ولكنني أعرف الصالح من الطالح. أنا رجل متعلم، وهذه بضاعة نادرة في هذه المهنة، هذا طبعا عدا السامع، أيها اللواء.

جــــيـرو: مقدم.

كــــالـب: أيها اللواء، أظن أنه بدلا من الاكتفاء بإلقاء المواعظ على الجمهور فإننا نستطيع تمثيل بعض المسرحيات الدينية الأخلاقية، يعني مثل تمثيليات عيد الفصح وعيد الميلاد. أنا أعجبك في أشياء من هذا النوع: عواقب الخطيئة، نهاية المجرمين الرهيبة... إلخ. يعني... آ... هذا النوع من المهام المتخصصة يستحق رتبة أعلى، أليس كذلك، سيدي الجنرال (Mon General)؟[٨]

جــــيـرو: (بحزم): مقدم.

كـــــــالـب: (يحـيـيـه والسكر باد عليـه): فليكن، Mon General.

إلى الداخل فيما يخرج الآخرون في لباس عسكري)

جـــيـــــرو: أنت وحيد يا شادرش.

شـــــــادرش: لسنا وحيدين أبدا. سنتوجه في هذه اللحظة إلى رئيس المجلس السياحي، حيث سنضع حدا لطمـوحـاتكم، فـالسـيـدة الفـاضلة خـالـة رئيس المجلس البلدي واحدة من أخلص رعيتنا.

جـــيـــــرو: (ينظر في سـاعـتـه): إذا كنت ترغب فـي رؤية المسؤول الإداري التنفيـذي شخصيـا، فسوف يصل بعد عدة دقائق. لقد دعي إلى هذا الاجتماع.

شـــــــادرش: هنا؟

جـــيـــــرو: سوف يفاوض باسم الجانب الآخر.

شـــــــادرش: كـذب! المسـؤول الوحـيـد الذي سـتـرونه هو مسؤول الإخلاء.

أنـــانـــايـــس: (يتطلع إلى الخـارج): سـيـدي اللواء، الـعـدو في الخارج.

جـــيـــــرو: دعه يمر بسلام.

أنـــانـــايـــس: مـــاذا يريدون؟ من حـــسـن حظكم أن اللواء أعطاكم الأمان.

المســــــؤول: كيف واتتك الجرأة على دعوتي إلى هنا في هذا الوقت من الليل؟ (يسد أذنيه).

هلا أخبرتهم أن يوقفوا هذه الضوضاء الجنونية؟

جيرو: عقيد شومة.

أنانايس: لن يسمعك. سأتولى أنا إيقافه.
(يتجه إليه ويحييه ثم ينزع البوق من فمه)

جيرو: اجلس.

المسؤول: أنا أطلب.

جيرو: أجلسه أيها الرائد.

أنانايس: بكل سرور يا سيدي اللواء.
(يجبر المسؤول على الجلوس على كرسي فيسارع كاتب اللجنة بالجلوس على الفور).

جيرو: أستأذنك لبعض الوقت بينما استعد للمفاوضات.
(يلتقط الملف عن الطاولة بحركات محسوبة، فيحدق المسؤول في الملف مذهولا. يتبادل النظرات مع الموظف الذي يخفض بصره يذهب جيرو إلى الغرفة).

شادرش: أظن أننا في حضرة مسؤول الإخلاء الرئيسي في المجلس البلدي.

الكاتب: لا، أنت تعني م أر ٢، أما هذا فهو م أر ١، المسؤول الإداري الرئيسي. أما م أر ٣ فلم يعين بعد، وذلك هو مسؤول الإعدام الرئيسي، منصب جديد.

المسؤول: (يستدير ليتفحص شادرش كأنه حشرة غريبة): ومن تكون أنت؟

شادرش: قائد جماعة شادرش مادرش أبيدنغو الرسولية، التي تضم عشرين ألفا.

المسؤول (بتبرم): متطرف آخر.

المسؤول: كلنا أمل أنكم جئتم إلى هنا لتضعوا حدا لمخططات هذا الجشع المتاجر بالدين الذي يسمي نفسه...

المسؤول: بحق يسوع!

(يدخل جيرو وعليه حلة بهية من لباس جيش الخلاص، فيستقبله شومة بتحية حادة النغمة).

جيرو: الملف يا أخت ريبيكا.

المسؤول: والآن آمل أنك سوف...

جيرو: أنا واثق أنك جئت وحيدا كما طلبت.

المسؤول: نعم، لقد خاطرت بحياتي بكل حماقة وجئت دون حماية إلى وكر الإجرام هذا.

جيرو: هذا في مصلحتك تماما.

المسؤول: هكذا قلت أنت. والآن هل تتفضل وتخبرني ما هي مصلحتي؟

جيرو: إنها من النوع الذي ينبغي ألا يسمعه رجال الشرطة، ولهذا نصحتك بالحضور دون مرافقيك.

المسؤول: ادخل في الموضوع.

جيرو: (يجلس وهو يربت على شعره المجعد بعناية): لا بد أنك تتذكر أنه حين اضطر مسؤول الإخلاء الرئيسي، ونتيجة لأساليب الإقناع الروحية العنيفة التي استخدمتها العقيد ريبيكا...

المسؤول: العقيد من؟

جيرو: العقيد ريبيكا من كتيبة أبناء السماء الإلهية، واختصارا كاسا. هل تعلم أن كاسا تعني بيتا؟[٩]، بيتا روحيا في حالتنا هذه. أنا واثق أن صورتنا الجديدة ستعجبك.

(تدخل ريبيكا حاملة الملف، وهي الآن في بدلة عسكرية)

المسؤول: صورتكم لا تهمني في شيء.

جيرو: وماذا عن صورتك أنت يا حضرة المسؤول؟

(يناوله ورقتين من الملف)

ألا ما أعظم الرب وما أبعد حكمته! لقد ساق مسؤول الإخلاء إلى بابي في صحبة من اختارها للخلاص، فأغرقته بفيض عارم من القداسة، اضطر معه إلى الفرار وترك وثائقه في ملكية امرأة تملكها الله.

المسؤول: ماذا تريد؟ قل لي ماذا تريد بالضبط؟

جيرو: الاحتكار هو موضوع ملفكم أب. ب/ ٥٣٧/٧٢أ. صالونات تجميل، مقاهٍ، محلات،

سوبر ماركت، أكشاك، مثلجات وملاهٍ. بناء وإيجار أكواخ على الشاطئ، معدات تسلية، متاجر عملاقة، مطاعم، آلات قمار، عربات ملاهٍ، دوارات ومرافق لإيواء السيارات: كل ذلك من أجل المسرح الوطني المقرر بناؤه على بار بيتش. والقائمة لا نهاية لها يا حضرة المسؤول، إلا أن ما يهم الرب الكريم الذي أمثل مصالحه هو أسلوب منح هذه العقود الوفيرة.

المسؤول: لا حاجة لرفع صوتك (ينظر حوله بعصبية) قل لي ماذا تريد بالضبط.

جيرو: أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

المسؤول: وما معنى ذلك بلغة قيصر الصريحة؟

جيرو: احتكار على الحياة الروحية.

المسؤول: وما معنى هذا؟

جيرو: يمنح لكاسا

شادرش: نحن من جانبنا واثقون بأن استقامتك لن تسمح لك بالموافقة على طلبات من هذا النوع.

المسؤول: هل هناك من يخبرني من هذا الرجل؟

جيرو: لقد تلطفت الأخت ريبيكا فأعدت الخطاب وهي تقول إنه لا يحتاج إلا إلى توقيعك.

المسؤول: (يأخذ الخطاب وهو غير مصدق): أهذا كل شيء؟ مجرد احتكار لحقوق عقد اجتماعات دينية هنا؟

جيرو: هذا يكفي.

المسؤول: ولا حتى احتكار مشروع تجاري من نوع ما؟

جيرو: لقد دخلنا ميدان المشاريع بالفعل. وبالطبع فنحن نتوقع منك أن تعلن أن الأراضي التي تشغلها الآن مختلف الجماعات الدينية، سوف يوكل أمر إداراتها وتطويرها إلى الجماعة التي أقرت حديثا ممثلة للجماعات الرسولية كلها: كاسا.

المسؤول: ماذا؟!

شادرش: سيادة المسؤول الإداري...

المسؤول: وما علاقة هذا باحتكار الحياة الروحية؟

جيرو: إذا كان للحياة الروحية أن تمتد جذورها، فلا بد لها من أرض تمد فيها هذه الجذور.

المسؤول: نعم، نعم، طبعا، أنا... آ... أدرك ما ترمي إليه.

جيرو: كما أن صورتنا موالية على كل الأصعدة. لسنا متعصبين، فشعارنا هو الدم، الدم الذي يغسل الخطايا جميعها، الخطايا جميعها يا سيادة المجلس السياحي.

المسؤول: نعم، فعلا. هذه نقطة في صالحك تماما.

شادرش: نحن نحتج يا سيدي، نحتج بشدة.

المسؤول: من هذا الرجل؟

جيرو: مرتد، دعك منه (يدمدم شادرش وقد أعياه الكلام. يدفع جيرو بورقة إلى المسؤول)،

البيان... إنه لا يقول إلا الحقيقة، فأنت حاضر في اجتماع الاتحاد الرسولي، كما أنك تشاهد بنفسك الجماعة الجديدة التي ظهرت ممثلة للجميع.

شادرش: لصوص! أفاقون! مغتصبون! قتلة!

جيرو: لم ندرج اسمك يا شادرش.

(يوقع المسؤول فيدفع جيرو بالورقة إلى الكاتب)

اشهد (ينظر الكاتب إلى المسؤول بتردد)

المسؤول: وقع هذه الورقة ودعنا نخرج من هنا.

جيرو: (يناول الورقة لريبيكا): هل هذان توقيعاهما الحقيقيان؟

المسؤول: (وقد جرحت كرامته): لست من أصحاب الوجهين، أنا رجل عند كلمتي.

جيرو: ليس الموضوع موضوع ثقة.

ريبيكا: إنهما توقيعاهما يا سيدي اللواء.

المسؤول: والآن هل لي بالـ ...

جيرو: قائمة العقود؟ بقيت ورقة واحدة فقط بحاجة إلى توقيع، الملحق، أي الخريطة المساحية التي تحدد أي أقسام من الشاطئ تعتبر في عهدة كاسا.

المسؤول: هذا مستحيل، لقد وزعنا بعض الأراضي التي يشغلها أصحابك الـ...

جـيـرو: أرجو أن تعترف لي بشرف القيام بواجبي. لقد نسيت أن لدينا حليفا عظيما في شخص العقيد ريبيكا، سكرتيرتك المؤتمنة سابقا، لقد اعتمدنا على هذا الملف الثمين الذي تكرم مسؤول الإخلاء العامل لديكم بإعارتنا إياه. ليست هناك نسخ أخرى، افحصه إذا شئت.

المسؤول: حسنا، حسنا (يهم بالتوقيع).

شـادرش: لا توقع على بيع روحك للشيطان يا سيدي.

المسؤول: ألا تستطيعون إسكاته؟

جـيـرو: أيها الرائد.

أنانايس: بكل سرور يا سيدي. هيا يا شاد. (يمسكه من مرفقه مسكة خبير).

شـادرش: نحن نحتج بكل بشدة على هذه المؤامرة السافرة سوف نتابع هذه القضية على أعلى المستويات، فقائد جماعة تضم عشرين ألفا ليس بمن يستخف به أحد. وسوف ترون.

المسؤول: هل أنت متأكد أنه لن يسبب لنا مشاكل فيما بعد؟

جـيـرو: دعه لنا، فشهادة جيش الخلاص سوف ترجح على شهادة دجال موتور في أي مكان. (يأخذ الخريطة ويعيد أوراق الإدانة) وثائقك يا سيدي. آمل أن تكون أكثر حرصا في المرة القادمة.

المسؤول: (يختطف الأوراق بسرعة ثم يحشرها في جيوبه): والآن فلنذهب للتعامل مع هذا الغبي مسؤول الإخلاء.

جيرو: لا تلق اللوم عليه، فتأثير الروح في النفوس الضالة يتجاوز أشد الأنظمة الوظيفية صرامة.

المسؤول: لا تعظني أيها الدجال.

جيرو: بالعكس، سوف نعظك. ففي الساعة الثانية عشرة من كل يوم ثلاثاء، ستقوم كتيبة أبناء السماء الإلهية بإلقاء مواعظها خارج مكتبك، وسيكون موضوع عظاتنا شر الفساد... الروحي، نحن ننوي أن نقتصر على الشؤون الدينية، ولن نخالف الصورة الدنيوية.

(ينفجر الكاتب ضاحكا، ويحدق فيه المسؤول بحقد؛ فتتجمد الضحكة على وجهه)

المسؤول: عليك الحضور إلى مكتبي غدا في الصباح الباكر، أنت وموظف الإخلاء.

(يندفع خارجا)

أنانايس: (حين يتردد الكاتب الرئيسي): هيه أنت، الحق بسيدك.

الكاتب: أيها الأخ... أعني... آ... أيها اللواء، ألا... أعني... هل هناك أي إمكانية... ما أريد أن أقوله هو... حتى رتبة وكيل عريف ستكفيني.

ريبيكا: المجد للرب (تتدفع إليه لتضمه)، أظن أن هناك بدلة تناسب مقاسه تماما يا سيدي اللواء.

جيرو: كما تشائين يا حضرة العقيد، إذن فليكن وكيل عريف.

أنانايس: والآن يا سيدي اللواء؟

جيرو: لا وقت مثل الوقت الحاضر، فلنخرج في مسيرة في هذه اللحظة ونرفع علمنا. أيها الأخ شومة، اركع لمعموديتك الثانية، أو الثالثة، لقد بدأت أخطئ العد.

(يركع شومة ويمسح جيرو بيده على رأسه): اركع يا أخ شومة، انهض يا عميد يشوع (١٠).

شومة: (وقد أسقط في يده): أوه، أيها الأخ... عفوا، أيها اللواء... جيرو أنا لا أستحق هذا...

جيرو: هراء يا شومة، أنت فخر هذه الرتبة. استعد للقتال أيها العميد. سيتولى العميد يشوع القيادة وهو ينفخ في البوق. أيها الرائد أنانايس.

أنانايس: سيدي اللواء؟

جيرو: حين ينفخ يشوع في البوق ستكون مهمتك تحقيق المعجزة. يجب أن تتهاوى الجدران وإلا فعليك تبرير ذلك.

أنانايس: دع الأمر لي أيها اللواء.

جيرو: ما عليك إلا أن تستند على الجدران العفنة

وسيتكفل الرب بالباقي. وبحلول الفجر لا بد أن يكون الشاطئ قد تم تطهيره من الأكواخ الانفصالية الموبوءة التي تعكر الجو المقدس على جماعة الرب الموحدة. وستبدأ بطبيعة الحال بجحر الفساد، جحر المرتد شادرش، السيف والنار يا أنانايس، السيف والنار، فلتنيروا ليل الشر بلهيب الإيمان، ولتعدوا الأرض لمهرجان بار بيتش.

أنانايس: كتيبة السماء الإلهية، استعدا... د إلى الأمام براية الرب (تتخذ ريبيكا موقعها) إلى الأمام ببوق الرب (يتخذ شومة موقعه) انفخ في البوق، إلى اليسار، در... إلى المعركة ضد الفساد.

(يعزف شومة بقوة المقطع الأول من أغنية «يشوع قاد معركة أريحا» بإيقاع منتظم، ثم يتحول مبتهجا إلى نغمة محلية سريعة، تخرج الكتيبة على إيقاعها في مسيرة راقصة في الليل. يرد جيرو تحية الكتيبة بأكبر قدر من الترفع، وحين يختفي آخر الرجال، يلقي نظرة أخرى على الصورة في الإطار وينزلها ويسندها بوجهها إلى الجدار، ويخرج من أحد أدراج الطاولة صورة أكبر من سابقتها تمثله في بدلته الحالية، ويعلقها على الجدار، ثم يجلس إلى

الطاولة ويقرب إليه ملفا أو ملفين، كأنما ليبدأ العمل. يرفع بصره فجأة وعلى وجهه ابتسامة الدجال القريب إلى القلب).

وعلى كل حال، فالعادة في هذه الأيام أن يتولى اللواء القيادة من مكتبه.

عتمة النهاية

هوامش تحول الأخ جيرو

١ تعبير شعبي يشير إلى العادة الجديدة في تنظيم إعدامات عامة في العاصمة النيجيرية لاغوس.

٢ يروي العهد القديم أن قابيل (أو قايين) لما سأله الله عن أخيه هابيل، وكان قد قتله، أجابه: «لا أعلم. أحارس أنا لأخي؟» (تكوين: ٤: ١٠).

٣ «ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها. أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك». (متى: ٧: ٣ - ٥).

٤ منظمة مسيحية عالمية ذات أهداف دينية وخيرية، وهي تعمل وفق نظام عسكري حيث يحمل أعضاؤها رتبا عسكرية تتفاوت حسب أهميتهم. أسسها وليم بوث في لندن عام ١٨٦٥.

٥ بعض أنواع الموسيقى الشعبية التي انتشرت في غرب أفريقيا ونيجيريا في الستينيات، موسيقى الجوجو أحدث، وقد حلت في شعبيتها محل الهاي لايف (انظر الملاحظة ٣ في محنة الأخ جيرو).

٦ قام يعقوب فيما تروي التوراة بخداع أبيه إسحق لينتزع منه البركة التي كانت مقررة لأخيه عيسو باعتباره الولد البكر (تكوين: ٢٧).

٧ يقوم جيرو بمحاكاة ساخرة لعملية ترسيم الفرسان، حيث يربت الملك بالسيف بالتناوب على كتفي المرشح الراكع أمامه. وتحل عصا الكهانة في هذه الحالة محل السيف.

٨ سيدي الجنرال. بالفرنسية بالأصل، فكالب «رجل مثقف».

٩ في الإسبانية، كما في «كازابلانكا» الدار البيضاء.

١٠ كان يشوع بن نون حسب العهد القديم خادم موسى الذي اختاره الله بعد وفاة سيده ليتزعم بني إسرائيل، وقد قادهم في حصار أريحا، حيث «هتف الشعب وضربوا بالأبواق... فسقط السور من مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة» (يشوع: ٦: ٢٠).

المراجع في سطور

نسيم مجلي إبراهيم

- من مواليد عام ١٩٣٤، مصري الجنسية.
- حاصل على ليسانس الآداب في اللغة الإنجليزية من جامعة القاهرة ١٩٦٠، ودبلوم الدراسات العليا في النقد والأدب المسرحي من أكاديمية الفنون ١٩٧٠.
- له عدة مقالات ودراسات نقدية منشورة في المجلات المصرية والعربية، مثل: المسرح - روز اليوسف - إبداع - أدب ونقد - آفاق عربية - قضايا عربية.
- ترجم العديد من الكتب، منها: «بريخت» تأليف: رونالد جراي - «الحب عند الفرنسيين» دراسة للتاريخ الاجتماعي والثقافي الفرنسي تأليف: نينا ايتون - القضية (مسرحية قومية) - المجنونة (كوميديا اجتماعية) - المسرح وقضايا الحرية - أمل دنقل (دراسة نقدية).
- نشرت له سلسلة «من المسرح العالمي» ترجمة لمسرحية «الأسد والجوهرة»، تأليف: وول سوينكا.

المترجم في سطور

طارق عبدالرحمن شما

- سوري الجنسية
- من مواليد اللاذقية عام ١٩٧١
- حاصل على الماجستير في الترجمة والأدب المقارن من جامعة بنغمتون في نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية، ويحضر الدكتوراه حالياً في نفس الجامعة.
- له عدة مشاركات في الصحف، كما أن له عدة قصص قصيرة منشورة في الدوريات السورية.

إبداعات عالمية

350

مسرحيتان من الأدب النيجيري

١- محنة الأخ جيرو -٢- تحوُّل الأخ جيرو

يسعد سلسلة «إبداعات عالمية» أن تقدم لقرائها في هذا العدد مسرحيتين من الأدب الأفريقي ومن نيجيريا تحديدا، للكاتب وول سوينكا.

وتروي المسرحيتان، بأسلوب كوميدي ساخر، قصة جيروبم العراف المزعوم، وصعوده من دجال محلي صغير يكسب رزقه من الاتجار بالدين واستغلال جهل البسطاء حتى أصبح أحد الأبواق الدعائية للنظام العسكري الذي يستولي على حكم البلاد.

وقد كان الإطار الزماني والمكاني للمسرحيتين هو نيجيريا في الستينيات.

تتناول المسرحيتان قضايا الفساد الإداري والتخلف الاجتماعي اللذين كانا متفشيين في نيجيريا وبلدان العالم الثالث آنذاك، إضافة إلى هشاشة الأنظمة السياسية وغربتها عن واقع الشعب أو قمعها لمظاهر الحياة السياسية.

وجيروبم بطل المسرحية المعروف بالعراف (جيرو)، ليس إلا نموذجا غير نادر أبدا للانتهازي الذي يبيع نفسه لمن يدفع الثمن، ولو كان ذلك على حساب تكريس الفقر والتخلف لدى غيره من المواطنين، إذ يتمكن هذا الكاهن الزائف، بكل دهاء، من التأقلم مع التقلبات السياسية المتلاحقة في البلاد، ويكيف مبادئه الدينية ليصبح جزءا من النظام الحاكم أيا كان نوعه، فيحتال في المسرحية الأولى على أحد رجال البرلمان، مستفيدا من سذاجته وطمعه في الحصول على منصب وزاري بأي ثمن كان، وفي المسرحية الثانية يستغل حاجة النظام العسكري إلى سند شعبي ليقدم نفسه غطاء دعائيا تبريرا لسياساته.

ردمك: ٨ - ١٤٨ - ٠ - ٩٩٩٠٦

ISBN: 99906 - 0 - 148 - 8